روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

مهنتى القتل

٤٠

باسل

Www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • مهنتى القتل • ٤٠ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن فى مصر
ــ

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

مهنتى القتل

- لماذا اختار (الموساد) قاتلًا محترفًا لقتل (أدهم صبرى) بالذات ؟
- كيف تم استدراج (أدهم صبرى) إلى حلبة الصراع فى (لاس فيجاس) ؟
- تُرى .. هل نجح القاتل المحترف فى القضاء على (رجل المستحيل) ؛ لأن مهنته هى القتل ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ فقد تكون آخر مغامرات (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الانتحاريون

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ الضَّحيَّة ..

ارتفع صوت البوق المميَّز لسيارات الشُّرطة ، أمام فندق صغير فى أحياء مدينة (لاس فيجاس) الأمريكية ، واندفع عدد من رجال الشرطة الأمريكيـة إلى بهو الفنـدق ، وازدحـم بهم مصعده ، وهم ينتقلون مع رجال المعمل الجنائى إلى الطابـق الثالث ، حيث انتشروا داخل واحدة من حجراته ، وانهمك بعضهم فى تصوير أرجاء الحجرة فى اهتمام ، على حين انهمك البعض الآخر فى فحص كل الأركان والجوانب ، وجمع كل ما يثير الشك فى المكان .. أما الباقون فقد وقفوا يتطلَّعون إلى الجثة المُسَجَّاة فوق الفراش .. ولم يكد رجال المعمل الجنائى ينتهون من تصوير المكان وفحصه ، حتى بدأ المفتش (سميث) فحص الجثة ..

كانت لرجل فى النصف الثانى من الثلاثينـات ، طويـل القامة ، رياضى القوام ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، على الرغم من الثقب الذى يتوسط جبهته ، حيث تجمَّدت بقعة كبيرة من الدماء ..

أفرغ المفتش (سميث) محتويات سترة القتيل ، وأخذ يقلّبها بين كفّيْه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ناولها لمساعده (رونالد) ، وهو يقول :

ــ افحص هذه الأوراق ، وأخبرنى برأيك فيما تراه .

تجلّت الدهشة فى عينى (رونالد) وهو يتفحّص الأوراق ، ثم هتف :

ــ يا للشيطان !! أى رجل هذا ؟

التقط منه المفتش (سميث) كل الأوراق ، وعاد يفحصها ، وفى رأسه تدور عشرات التساؤلات ..

كان ما يحمله القتيل مسدسًا من طراز (كولت) ، من نفس الطراز الذى يستخدمه رجال الجيش المصرى ، وبعض الشوارب واللّحى المستعارة ، وعددًا من جوازات السفر تحمل كلها صورة القتيل ..

راجع المفتش (سميث) جوازات السفر أكثر من مرة ، دون أن تتلاشى دهشته .. كان كل منها يحمل اسماً وجنسيّة مختلفة ، على الرغم من صورة القتيل الواضحة التى تميّز كلًّا منها ، فهو فى أحدها يحمل اسمًا إيطاليًّا ، وفى الآخر أمريكيًّا ، وفى الثالث فرنسيًّا .. ومن العجيب أن ملامح القتيل لم تكن لتشى بجنسيته ،

فهى تتناسب والملامح الفرنسية ، على الرغم من شعره الفاحم ، وعينيه السوداوين ، كما تصلح للإيطالية ، على الرغم من قامته الفارعة ، وهو أمريكى فى قوامه ، إسبانىّ فى حاجبيه ، شرقى فى قوته ..

دسّ المفتش (سميث) جوازات السفر فى جيب معطفه ، وقال :

ــ هذا الرجل إما جاسوس خطير ، أو لص محترف

غمغم (دونالد) فى حَيْرة :

ــ أو محتال رهيب .

عاد (سميث) يخرج جوازات السفر ، ويتطلّع إليها طويلًا ، ثم التقط اثنين منها ، وأعاد الباقين إلى معطفه ، وهو يقول :

ــ أعتقد أن هذين الجوازيْن هما مفتاح اللّغز كله .

تطلّع (دونالد) إلى الأسماء المدوّنة بالجوازين ، وقال :

ــ إن أحدهما يحمل اسمًا عبرانيًّا ، والآخر مصريًّا .

ضرب (سميث) الجوازين براحته ، وقال فى ثقة :

ــ هذا هو الحل .. أراهنك أن ما تفحصه الآنِ واحد من نتاج حرب المخابرات فى الشرق الأوسط .

هتف (دونالد) فى دهشة :

ــ المخابرات ؟!!

أومأ (سميث) برأسه ، قائلاً :

ــ سأدفع مائة دولار عن طيب خاطر ، لو ثبت عكس ذلك .

فى نفس اللحظة التى انتهى فيها (سميث) من عبارته ، تقدَّم منه أحد رجال الشُرطة التابعين له ، وقال :

ــ هناك ديبلوماسىّ مصرىّ ، يطلب مقابلتك على الفور يا سيِّدى المفتش .

تألّقت عينا (سميث) ببريق النصر ، وهو يهتف محدِّثًا (دونالد) :

ــ ألم أقل لك ؟

ثم التفت إلى رجل الشُرطة ، وقال فى حماس :

ــ دَعْه يحضر على الفور .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى دخل الحجرة رجل وقور ، متوسط القامة ، شرقى الملامح ، واجه المفتش (سميث) ، قائلاً :

ــ هل يمكننى أن ألقى نظرة على جثة القتيل أيها المفتش ، هناك من الأسباب ما يدفعنا للشك فى كونه أحد الرعايا المصريين .

أشار المفتش (سميث) إلى الجثة ، وقال فى هدوء :

ــ ها هو ذا القتيل ..

اقترب الديبلوماسى المصرى من جثة القتيل ، ولم يكد يلقى عليها نظرة واحدة حتى أخفى وجهه براحته ، وغمغم فى أسى :

ــ يا إلٰهى !! إنه هو .

تنبَّهت حواس (سميث) و (دونالد) إلى عبارة الديبلوماسى المصرى ، الذى التفت إليهما ، ومسح عينيه وكأنه يجفِّف دمعة هاربة ، وقال فى صوت حزين :

ــ هذا الرجل واحد من رعايانا أيها المفتش .. هل يمكننا التكفُّل به ؟

تملَّك الحماس من المفتش ، وهو يقول :

ــ بعد أن يفحصه الطبيب الشُرعى ، بالطبع يمكنكم ذلك .

ثم التقط جواز السفر الذى يحمل اسمًا وجنسيةً مصريَّين ، وعاد يقرأ الاسم المدوَّن به فى إمعان ، وهو يقول :

ــ إذن فهو مصرىّ .

قال الديبلوماسىّ :

ــ بالطبع .. إنه مصرىّ من رأسه حتى أخمص قدميه .

تنهد المفتش فى ارتياح ، وعاد يقرأ الاسم المدوّن بجواز السفر للمرة العاشرة ، وهو يقول :

ــ حسنًا يا سيّدى ، سأعمل على أن تتسلّموا جثة رجلكم فى أسرع وقت ممكن .. ولكن هل يحمل حقًّا هذا الاسم المدوّن بجواز سفره .

ثم أدار الجواز ليواجه عينى الديبلوماسىّ المصرى ، الذى أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى أسف وحزن :

ــ نعم أيها المفتش ، هذا هو اسمه الذى عُرِف به طيلة حياته .. (أدهم صبرى) .

* * *



٢ ــ البدايـة ..

أشرقت شمس الصباح التالى على حركة دائبة فى القنصلية المصرية ، فى (لاس فيجاس) .. وبدأت مجموعة من الاتصالات المغلّفة بالسرِّيَّة والحذر ، حتى تم تسلُّم الجثة فى الحادية عشرة صباحًا ، بعد انتهاء الطبيب الشرعى من فحصها .. وعلى الفور تم حملها بطائرة خاصة إلى (مصر) .. وفى تمام الثانية عشرة ظهرًا نُكِّسَ العلم المصرىّ فوق القنصلية المصرية ، دون أن يفصح مسئول واحد فيها عن سبب ذلك الإجراء ..

وفى نفس اللحظة تهلّلت أسارير ديبلوماسى آخر ، فى قنصلية دولة غير عربية من دول الشرق الأوسط ، ووضع سماعة هاتفه الخاص ، وهو يقول فى حماس وانفعال ، محدّثًا رجلًا طويل القامة ، عريض المنكبين يجلس أمام مكتبه صامتًا ، واضح التعب والإرهاق :

ــ رائع .. إنها المرة الأولى التى يتأكّد لنا فيها مصرع هذا الشيطان المصرى على نحو لا يقبل الشك .

ثم أطلق ضحكة تفيض بالسعادة والظفر ، قبل أن يربِّت على كتف الرجل مستطردًا :

ـــ لك الفخر يا (أنطوان) .. لقد حقَّقت ما عجز عنه العمالقة فى أرجاء العالم أجمع .. لقد قتلت أخطر ضابط مخابرات مصرى ، بل أخطر ضابط مخابرات فى العالم أجمع .

زفر (أنطوان) ، وقال وهو يلوِّح بكفِّه :

ـــ لم يكن ذلك هيِّنًا يا مستر (عايزر) .. لقد كاد يقتلنى أمس فى الفندق ، لولا أن ....

قاطعه (عايزر) صائحًا فى مرح :

ـــ المهم أنك نجحت فى قتله فى النهاية يا عزيزى (أنطوان) ، وهذا وحده كفيل بأن يخلد اسم (أنطوان مانيللى) فى تاريخ المخابرات إلى الأبد ..

مطَّ (أنطوان) شفتيه ، وقال :

ـــ لست أحد رجال المخابرات يا مستر (عايزر) .

تطلَّع إليه (عايزر) لحظة فى تساؤل ، ثم لم تلبث أساريره أن انفرجت وهو يضغط زرًّا مثبَّتًا بمكتبه ، قائلًا :

ـــ إننى أفهم يا عزيزى (أنطوان) .. ستحصل على المليون دولار المتبقية على الفور .. بأى اسم تحب أن يصدر الشيك ؟

ابتسم (أنطوان) فى خبث ، وقال :

ـــ لست أحب الشيكات يا مستر (عايزر) ، إنها تحتاج إلى الكثير من الوقت .

عاد (عايزر) يقهقه ضاحكًا ، ويقول :

ـــ حسنًا يا مستر (أنطوان) .. ستحصل على مكافأتك نقدًا ، وأنت تستحقها عن جدارة ، ولا ريب أنك تشعر بالفخر .

ارتفع رأس (أنطوان) إلى (عايزر) فى بطء ، والتمعت عيناه ببريق ساخر وهو يتطلَّع إلى هذا الأخير ، قبل أن يهزّ كتفيه قائلًا :

ـــ لم يعد القتل يثير فى نفسى أيَّة مشاعر يا مستر (عايزر) ، ربما كنتم أنتم تسعدون بمصرع المدعو (أدهم صبرى) هذا .. أما بالنسبة لى فلم يكن الأمر سوى عمل روتينى ، برغم كل الصعوبات التى لاقيتها هذه المرَّة .

غمغم (عايزر) فى دهشة :

ـــ عمل روتينى ؟!

ابتسم (أنطوان) وهو يقول :

ـــ نعم يا مستر (عايزر) .. لقد كنت أمارس مهنتى ، ومهنتى هى القتل .

* * *

لحظة أيها القارئ .. ربما بدت لك بداية مغامرتنا هذه مربكة ومحيِّرة .. ولكن هذا يعود إلى أنها ليست البداية الحقيقية للأحداث .. فهذه ترجع إلى ثلاثة أسابيع مضت ، فى حجرة مدير مخابرات تلك الدولة غير العربيـــة من دول الشرق الأوسط ..

كانت البداية الحقيقية فى الساعة السابعة والنصف صباحًا فى تلك الدولة ، حينما سمع مدير مخابراتها دقَّات هادئة على باب حجرته ، فرفع رأسه عن الأوراق المتناثرة التى انهمك فى مطالعتها ، وقال فى ضجر :

ـــ ادخل يا مَنْ بالباب .

دلف إلى حجرة مكتبه شاب متوسط الطول ، تناثرت خصلات شعره فوق رأسه ، مما منحه مظهرًا يوحى بالاستهتار والعبث ، وكان الشاب يحمل فى يده تقريرًا من عدة صفحات ، حملت أولاها خاتمًا أحمر اللون ، نقشت فوقه بحروف عبرية كلمة (سرِّى وعاجل) ، وناوله لمدير مخابراته ، وهو يقول :

ـــ هل طالعت سيادتك التقرير الخاص بحادث الغوَّاصة التى أسرها المصريون (*) .

(*) راجع قصة (أعماق الخطر) .. المغامرة رقم (٣٩) .

ظهر الضيق على وجه المدير ، وقال :

ـــ نعم يا (شالوم) .. ولست أحب مناقشة هذا الأمر مرة ثانية ، فما زلنا نعانى المشاكل مع سلاحنا البحرىّ ، بعد أن خسر غواصته بسبب أعمال مخابراتنا .. ولكن المفاوضات السرِّيَّة تسير على أكمل وجه مع المصريين ، ويعتقد المسئولون أنهم سيوافقون على إعادة الغواصة وطاقمها ، خاصة وأن الأمر لم يتعدَّ نطاق السرِّيَّة بعد .

مطَّ (شالوم) شفتيه ، وقال :

ـــ لست أقصد ما يتعلَّق بالمباحثات الرسمية يا سيِّدى ، لقد طالعت هذا التقرير أكثر من مرة ، ووجدت ما أثار قلقى بين سطوره .

ظهر الاهتمام على وجه مدير المخابرات فى تلك الدولة ، وسأل (شالوم) فى جدِّيَّة يشوبها بعض القلق :

ـــ ماذا وجدت يا (شالوم) ؟

تردَّد (شالوم) لحظة ، ثم اندفع فجأة وكأنه يحاول قطع خط الرَّجعة على نفسه ، قائلًا :

ـــ هذه العملية تحمل توقيعًا لا يختلف اثنان فى تعرُّفه يا سيِّدى ، توقيع ذلك الشيطان المصرىّ الذى يحمل اسم (أدهم صبرى) .

كان الانفعال الذى بدا على ملامح المدير عجيبًا ، منذ ذكر اسم (أدهم صبرى) .. فقد اتسعت عيناه رعبًا ، كما لو كان قد رأى الشيطان بعينه ، وتدلَّت فكّه السفلى لينفرج فمه عن أسنان صناعية متسخة ، وتشنَّجت أصابعه فوق حافة مكتبه ، وشحب وجهه كأنه يعانى صدمة عصبية عنيفة ، ثم لم يلبث أن صرخ فى وجه (شالوم) :

ـ هل أصابك الجنون ؟.. إن (أدهم صبرى) هذا قد لقى مصرعه فى (ألمانيا) ، حينما قتله عميلنا المصرى هناك(*) .

تراجع (شالوم) لحظة أمام ثورة مديره ، ثم لم يلبث أن قال وكأنه يدافع عن وجهة نظره :

ـ إن عملية ذلك العميل المصرى الشاب ، تثير شكوكى منذ بدايتها يا سيِّدى .. ثم إن الإجراءات التى تتبعها المخابرات المصرية هذه الأيام ، تؤيِّد هذه الشكوك .

رفع مدير المخابرات عينيه إلى ضابطه ، وقال فى غضب :

ـ أيَّة إجراءات ؟

قال (شالوم) :

ـ إنهم يحاولون مدّ فترة التفاوض قبل إرجاع الغواصة

(*) راجع قصة (لعبة المحترفين) .. المغامرة رقم (٣٨) .

وطاقمها ، وكأنهم يخشون ما يمكن أن يدلى به أفراد الطاقم عن الرجل الذى أوقع بهم .. ثم إن ذلك العميل المصرى توقَّف عن إرسال المعلومات منذ أسبوع كامل ، وهذا يبعث فى نفسى شعورًا بالريبة .

بدا مدير مخابرات تلك الدولة أكثر استعدادًا لتبادل الحديث ، بعدما نجح (شالوم) فى نقل شكوكه إليه ، فنهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيْه خلف ظهره وهو يدور فى أرجاء الحجرة ، وقد عقد حاجبيه ، ثم توقَّف أمام نافذة حجرة مكتبه ، وقال دون أن يستدير إلى (شالوم) :

ـ ماذا يدور فى عقلك يا (شالوم) ؟

ازدرد (شالوم) لعابه ، وقد بدأ يشعر بالارتياح ، وقال :

ـ إننى أعتقد أن عملية (ألمانيا) كانت نوعًا من الخداع ، لإيهامنا أن ذلك المصرى قد أطلق النار على (أدهم صبرى) من أجلنا ، وهكذا نُوليه كل ثقتنا كما حدث بالفعل .. وهنا يتحوَّل إلى عميل مُزْدَوَج ، يعمل لصالحنا فى الظاهر ، ولكنه ينقل إلينا فى الواقع ما يريد منا المصريون أن نعرفه .. ولكن بقاء هذا العميل ونجاحه يعتمدان على مصرع (أدهم صبرى) .. وعندما نجح هذا الأخير فى أسر غواصتنا ، بات معلومًا أنه لم يلق مصرعه بعد ، وهذا يفقد عميلهم أهميته .

غمغم مدير مخابرات تلك الدولة دون أن يلتفت :

ــ يمكنهم أن يدعوا أنه قد نجا من الموت حينذاك .

ضرب (شالوم) قبضته فى كفه اليسرى وهو يقول :

ــ فى هذه الحالة أيضًا يفقد العميل المصرى أهميته .. فـ (أدهم صبرى) يعرفه جيِّدًا ، ولن يغفر له محاولته قتله .

صمت مدير تلك المخابرات لحظة ، ثم قال فى بطء :

ــ إذن فهم يماطلون فى عملية تسليم طاقم الغواصة ، حتى يمكنهم الاستفادة من عميلهم المُزْدَوَج إلى أقصى حدّ ، قبل تصفية هذه العملية .

صاح (شالوم) فى حماس :

ــ هذا صحيح .

عاد الصمت يغلفهما لحظة أخرى ، ثم قال مدير تلك المخابرات فى ضيق باحت به نبراته :

ــ وماذا تقترح ؟

قال (شالوم) فى حماس ملأ ، كل حرف من حروف كلمته :

ــ نقتل (أدهم صبرى) هذا .

ارتسمت ابتسامة تجمع ما بين السخرية والمرارة والحنق على وجه مدير المخابرات وهو يلتفت إلى (شالوم) ، قائلًا :

ــ أهذا هو كل ما تفتق عنه ذهنك ؟.. لقد حاول رجالنا هذا فى كل مرة أمكنهم فيها الالتقاء بـ (أدهم صبرى) هذا ، ولكنه دَحَرَهم جميعًا ، وأصاب بعضهم بإحباط لازمه حتى الآن .

ابتسم (شالوم) فى فخر ، وقال :

ــ لن نلجأ إلى وسائل المخابرات التقليدية هذه المرة يا سيِّدى ، سيقوم بالعملية قاتل محترف .

أطلق المدير ضحكة ساخرة ، تموج بالمرارة من بين أسنانه الصناعية ، وقال وهو يلوِّح بذراعه فى ضجر :

ــ لقد سبق أن فشلت عملية مماثلة فى عهد زميلى المدير السابق .

قال (شالوم) فى حماس :

ــ هذا لأننا حاولنا اغتيال ذلك الشيطان المصرى فى دولته ، ووسط مخابراته يا سيِّدى(*) .. صحيح أننا اخترنا حينذاك (بلاك كريس) .. أخطر قاتل فى العالم ، ولكن القاعدة تقول إنه من المستحيل اقتناص الثعلب ما لم يغادر جُحْره أولًا .

(*) راجع قصة (غريم الشيطان) .. المغامرة رقم (٨) .

عقد مدير تلك المخابرات حاجبيه ، وفكَّر طويلًا قبل أن يغمغم :

ــ هل لديك خُطَّة محدودة ؟

اعتدل (شالوم) فى اعتداد ، ووشت ملامحه بالفخر والثقة ، وهو يقول :

ــ نعم يا سيِّدى .. لدىَّ خُطَّة لا يمكنها أن تفشل .. خُطَّة تضم رجلًا يدعى (أنطوان مانيللى) ، هو أبرع قاتل محترف ضمته أوساط (ألمانيا) الشهيرة ، بالإضافة إلى أخطر من يجيد التعامل مع ذلك الشيطان المصرى فى مخابراتنا .. (سونيا جراهام) .

* * *



٣ ـ إلى الغرب ..

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم صبرى) ، و (منى) بالجلوس على المقعدين المقابلين لمكتبه ، وابتسم وهو يتطلَّع إليهما ، قائلًا :

ــ لقد أصبحتما تكوِّنان فريقًا رائعًا .. أليس كذلك ؟

ابتسمت (منى) فى فخر وحياء ، على حين قال (أدهم) مداعبًا :

ــ نعم يا سيِّدى .. فريق مكوَّن من رجل ونصف .

ضحك مدير المخابرات ، على حين رفعت (منى) عينيها الغاضبتين إلى وجه (أدهم) ، الذى أسرع يقول :

ــ للذكر مثل حظ الأنثيين .. أليس كذلك ؟

ابتسمت على الرغم منها لدعابته ، وإن حاولت التظاهر بالغضب ، على حين لوَّح لهما مدير المخابرات بكفِّه أن يتوقفا عن المُزَاح ، وتناول ورقة صغيرة من وسط الأوراق العديدة فوق مكتبه ، وقال فى جدِّية :

— هناك عملية جديدة لا تصلح إلّا لفريقكما .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

— أهى بالغة الخطورة إلى هذا الحدّ ؟

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

— ليست خطورة العملية هى السبب فى ضرورة ذهابكما هذه المرة ، ولكنها نوعية الخصم ، فأنتما خير من يمكنه التعامل معه بالذات .

عقدت (منى) حاجبيها الرفيعين وهى تتطلَّع إلى مدير المخابرات فى تساؤل ، على حين ابتسم (أدهم) فى سخريته المعهودة ، وقال :

— دَعْنى أخمن يا سيِّدى .. أهو أمر يتعلَّق بعمليات (الموساد) ؟

لوَّح مدير المخابرات بكفِّه ، قائلًا :

— نصف عملياتنا على الأقل تتعلَّق بـ (الموساد) ، وأكثر من نصف رجالنا منغمسون فى عمليات من هذا النوع .. ولكن الأمر هذه المرة يتعلَّق بواحد من أفراد (الموساد) ، لا يجيد غيركما التعامل معه .

هتف الاثنان فى آن واحد :

— (سونيا جراهام) ؟!

ابتسم مدير المخابرات لفطنتهما وهو يومئ برأسه ، قائلًا :

— لقد أصبتما .. إن خصمنا هذه المرة هو (سونيا جراهام) ، بكل جمالها الساحر ، وشراستها التى تفُوق الوصف .

حرَّك (أدهم) رأسه وهو يرفع حاجبيه ويخفضهما ، قائلًا :

— إنها تثير إعجابى فى بعض الأحيان .

اندفعت (منى) تقول فى غضب :

— وما الذى يثير الإعجاب فى أفعى سامَّة مهما بلغ جمال جلدها .

ابتسم (أدهم) فى تهكُّم ، وعقد مدير المخابرات حاجبيه فى ضيق ، على حين تنبَّهت (منى) إلى ما تحتويه كلماتها من غيرة واضحة ، فتخضَّب وجهها بالاحمرار ، وأطرقت فى خجل ، ولم يتركها (أدهم) لمزيد من الخجل ، إذ لم تلبث ملامحه أن فقدت ابتسامتها الساخرة .. والتفت إلى مدير المخابرات يسأله فى جِدِّية :

— ماذا فعلت (سونيا جراهام) هذه المرَّة ؟

تراجع مدير المخابرات بمقعده إلى الخلف ، وقال :

— إنها لم تفعل شيئًا حتى الآن .

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه فى تساؤل ، فأردف مدير المخابرات وهو يبعد الأوراق عن مرفقيه فى هدوء :

ـــ لقد ظهرت (سونيا جراهام) منذ أسبوعين فى (لاس فيجاس) ، وحامت أكثر من مرة حول قنصليتنا هناك .. ولمَّا كانت من الوجوه المعروفة لنا ، ضمن ضباط (الموساد) ، فقد نشط رجالنا لمراقبتها منذ ظهورها ، وعلى الرغم من تتبعهم لها خطوة فخطوة ، إلَّا أن ثلاث محاولات قتل جرت حول ديلوماسيينا هناك .. صحيح أنه لم يصب أحدهم ، إلَّا أن هذه المحاولات الثلاث أثارت فى نفوسنا الشك ، خاصَّة وأنها بدأت مع ظهور (سونيا) على مسرح الأحداث .

سألت (منى) فى اهتمام :

ـــ هل تعنى أنها قد حاولت قتل ديلوماسيينا يا سيِّدى ؟

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

ـــ إنها نادرًا ما تلجأ إلى العمل بنفسها يا (منى) ، ولكننا واثقون من ارتباطها بهذه المحاولات الثلاث ، على نحو أو آخر .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) فى بطء وهدوء ، وكأنه يحادث نفسه بصوت مسموع :

ـــ المطلوب منا إذن هو أن نتوصَّل إلى ماتسعى إليه (سونيا جراهام) .

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، وقال :

ـــ هذه هى المهمَّة التقليدية التى كلفتماها يا (ن - ١) ، ولكن المهمة الرئيسية هى مجاراة (سونيا) فيما تهدف إليه ، وتحطيم هذا الهدف بأكبر قدر من الحزم والسِّرِّية .

ابتسم (أدهم) بما يوحى بفهمه ما يقصده رئيسه ، وقال :

ـــ يسعدنى دائمًا خذلان هذه الأفعى الجميلة ياسيِّدى .

عادت الغيرة تراود (منى) ، مما دفعها إلى التحدث فى حِدَّة غير مقصودة ، وهى تسأل :

ـــ هل يحق لى يا تُرَى معرفة ما تعنيه عبارتكما الأخيرة ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـــ سأشرح لك أيتها النقيب .. إن (سونيا جراهام) ليست مبتدئة فى عالم المخابرات ، وهى تعلم جيِّدًا أن ظهورها حول قنصليتنا فى (لاس فيجاس) سيثير رجالنا إلى أقصى حدّ ، وأن محاولات القتل التى تسبق ذلك ، ستدفعنا إلى اتخاذ إجراء عاجل ، ولن يراودها شك فى أننا سنختار (أدهم صبرى) بالذات لمثل هذه المهمة ؛ نظرًا لأنه أكثرنا خبرة فى التعامل معها .

أكمل (أدهم) الحوار ، قائلًا :

ــ باختصار .. إنها محاولة من (الموساد) لاستدراجى إلى (لاس فيجاس) .

شحب وجه (منى) على الرغم منها ، وهى تغمغم :

ــ ولكنهم يتصوَّرون أن (أدهم) قد لقى مصرعه فى (ألمانيا) .

ظهر الضيق لحظة على وجه مدير المخابرات ، ثم قال :

ــ لقد أفسد (أدهم) هذا التصوُّر عندما أسر غوَّاصتهم ، وهم ليسوا من الغباء حتى لا يفهموا ذلك .

عادت تغمغم فى شحوب :

ــ إنها رحلة الموت إذن .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، تؤكد لا مبالاته بالخطر الكامن وراء هذه المهمة ، وقال فى هدوء ساخر :

ــ فلنكن أكثر تفاؤلًا يا عزيزتى ، ولنقل إنها مجرَّد رحلة إلى الغرب .

* * *

٤ ــ القاتل ..

انهمك رجل وسيم الملامح ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، فى تنظيف وإعداد عدد من المسدَّسات مختلفة الأنواع ، اصطفَّت فوق منضدة متوسطة الحجم ، إلى جوار علبة كبيرة امتلأت عن آخرها برصاصات من مختلف المقاسات ..

وكان الرجل يبدو شديد الاهتمام بعمله ، يُوليه عناية فائقة ، حتى أنه لم يلتفت طوال ساعة كاملة إلى (سونيا جراهام) ، التى وقفت تتطلَّع إليه فى صمت ، وهى تشعل سيجارة تِلْو الأخرى ، حتى تولَّاها الضجر ، وتملَّكها السخط ، على هذا الرجل الذى يهمل فاتنة مثلها طوال ساعة كاملة ، فقالت فى حدَّة :

ــ هل تقضى وقتك كله فى تنظيف أسلحتك ؟

أجاب فى برود دون أن يتوقَّف عن عمله ، أو يلتفت إليها :

ــ إنها مهنتى .

أطفأت سيجارتها فى حنق ، وهى تقول :

ــ الإنسان لا يمنح وقته كله لمهنته .



فقالت فى حِدَّة :

ـ هل تقضى وقتك كله فى تنظيف اسلحتك ؟

استدار إليها فى هدوء ، وتطلَّع إلى وجهها الساحر بنظرات باردة ..

كان من العجيب ألَّا يهتم رجل مثله بفتاة مثلها .. فلقد كانت (سونيا جراهام) مثال للفتنة الطاغية ، كما صوَّرها أعظم شعراء الغزل ، وكما أسهب فى وصفها عباقرة الأُدباء ..

النظر إلى وجهها الساحر وحده ، يبعث فى النفس شعورًا بالراحة والسعادة ..

التطلُّع إلى عينيها ، يروى ظمأ الشارد فى البيداء ..

كان من النادر ألَّا يفقد أى رجل رزانته أمامها ..

ولكنَّ أعماقها كانت تتعارض تمامًا مع ملامحها .. فهى تحمل وجهًا نحتته الملائكة ، وقلبًا أبدعته الشياطين ..

ملامحها قطعة من الجنة فى الأرض .. وطبيعتها جُبٌّ من أعماق الجحيم ..

إنها جميلة كالزهرة ، ناعمة كالفراشة ، شرسة كأنثى نمر جائعة ، قاسية كالفولاذ ..

هذه هى (سونيا جراهام) ..

ولقد أورثها جمالها الفتان غرورًا طاغيًا ، ونرجسيَّةً طاحنة ، وهذا ما أثار غيظها ، حينما أهمل (أنطوان ما نيللى) وجودها ، بعد أن ركع عظماء قبله تحت قدميها .

ولكن (أنطوان) كان نوعًا مختلفًا من الرجال .. فهو بارد كالثلج ، قاس كالصلب ، عنيد كالليث ، حذر كالضبع .. وكان الشيء الوحيد الذى يُوليه كل العناية هو مهنته ، ولم تكن مهنته سوى القتل ..

تطلّع إليها (أنطوان) فى برود ، وقال بلهجته الإيطالية ذات النهايات الممطوطة :

ـــ ماذا تريدين منّى أن أفعل يا فاتنة (الموساد) ؟ .. هل أترك كل شيء لنتسامر معًا ؟..

أشعلت سيجارة أخرى ، ونفثت دخانها وهى تقول فى عصبية :

ـــ ومن يطلب ذلك ؟

عاد إلى تنظيف أسلحته ، وهو يقول :

ـــ لقد دفعت لى مخابرات دولتك مليون دولار ، مقابل التخلُّص من ضابط المخابرات المصرى ، الذى يثير رعبكم إلى هذا الحدّ ، وسأحصل على مليون أخرى إذا ما تكلّلت مهمتى بالنجاح .. وليكن معلومًا لديك أن هذا هو أضخم مبلغ تقاضيته مقابل عملية قتل ، وأنا أنوى أداء مهمتى على أكمل وجه .

جلست (سونيا) تنفث دخان سيجارتها ، وتتطلّع إليه وهى تضع ساقًا فوق الأخرى ، ثم قالت فى برود انتقل منه إليها :

ـــ هل تظن عملية قتل (أدهم صبرى) كمثيلاتها مما نجحت فيه سابقًا ؟

غمغم فى ضجر :

ـــ إنها مجرَّد عملية قتل ، مهما بلغت قوة الضحيَّة .

همست فى سخرية :

ـــ الضحيَّة ؟!

ثم اعتدلت وهى تردف فى جدِّيَّة :

ـــ حاول أن تفهم أن هذه المهمة تحتاج إلى كل طاقتك ومهارتك .. فخصمك رجل لم يُخْلَق مثله منذ أجيال .. إنه أستاذ فى فن القتال .. كل أنواع القتال ، وهو يجيد التنكُّر كما لو أن ملامحه قُدَّت من عجين سهل التشكيل ، وصوته يتبدَّل فى بساطة ، وكأن حنجرته تخشى رفض ما يأمرها به .. ويجيد نصف لغات الأرض فى مهارة مذهلة .

بدت شاردةً وهى تستطرد :

ـــ من الصعب أن تجد مهارة لا يتمتع بها هذا الشيطان المصرى .

ابتسم (أنطوان) فى سخرية ، وقال :

ــ تتحدثين كما لو كنت عاشقة .

كادت تعترض ، ولكن شيئًا ما فى أعماقها أعجزها عن ذلك ..

أربكتها عبارة (أنطوان) ، وأيقظت بعض المخاوف فى أعماقها ..

كانت تشعر فى كثير من الأحيان ، أن (أدهم صبرى) هو مثال الرجل الذى تبحث عنه طيلة عمرها ..

كان حلمها لولا الصراع المستمر بين دولتيهما ، على الرغم من السلام الرسمى بينهما ..

كانت تشعر فى بعض الأحيان أنها تكرهه إلى حدّ الموت ، من كثرة ما كبّدها من هزائم مخزية ..

وفى أحيان أخرى ينتابها شعور بالرغبة فى هذا الشيطان المصرى ، الذى يغذّى دائمًا ذلك الشعور بالأنثى فى أعماقها ..

لم تكن تشعر بضعف أنوثتها إلّا فى أثناء صراعهما ..

كانت تكره (أدهم صبرى) ، وتحبه فى آن واحد ، فى مزيج لا يتوافر إلّا فى مخلوقة اجتمعت فيها كل المتناقضات مثل (سونيا جراهام) ..

ازداد شعورها بالحنق ، بعد أن نطق (أنطوان) عبارته ، فأطفأت السيجارة التى أشعلتها لتوّها ، ونهضت فى عصبيّة ، وعقدت ساعديها أمام صدرها وهى تتوجّه إلى نافذة المنزل ،

التى تطل على مبنى القنصلية المصرية فى (لاس فيجاس) عَبْر الشارع .. ولم يكد بصرها يسقط على مبنى القنصلية ، حتى اتسعت عيناها فى اهتمام ، وهتفت فى مزيج من الدهشة والظفر :

ــ يا إلهى !! .. لقد نجح هذا الجزء من الخطّة .

فهم (أنطوان) مغزى عبارتها ، فقفز من مقعده ، واندفع نحو النافذة ، وضاقت عيناه السوداوان ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين غادرا سيارة بيضاء فارهة من ذلك النوع الأمريكى ، وتحرّكا فى هدوء نحو القنصلية المصرية ..

وفى حركة حادّة سريعة ، التقط (أنطوان) بندقية من ذلك النوع المزوّد بمنظار مقرّب قوىّ ، كانت تستند إلى حافة النافذة ، استعدادًا لمثل هذه اللحظة ، وأسند كعبها إلى كتفه ، وألصق عينيه بعدسة المنظار ، وابتسم فى هدوء ، حينما بدا له ظهر (أدهم) واضحًا ، وقال وأصابعه تداعب الزّناد :

ــ يبدو أن شيطانك المصرى يخطو آخر خطواته يا فاتنة (الموساد) .

وفى هدوء يليق برجل يمتهن القتل ، ضغط (أنطوان مانيللى) زناد بندقيته .

* * *

٥ ــ الشيطان ..

يقول الرجال الذين اعتادوا التعامل مع الخطر : إن هذا النوع من الحياة يورث المرء حاسَّة إضافية ، تضاف إلى حواسه الخمس ، ويطلقون على هذه الحاسَّة اسم (غريزة الشعور بالخطر) .. ولكن جميعهم عجزوا عن تفسير وجود مثل هذه الحاسَّة ، وإن أجمعوا على كونها نوعًا من التوتُّر المفاجئ ، الذى ينتاب المرء فى لحظة بذاتها ، ويدفعه إلى إتيان عمل عجيب ، أو تصرُّف مباغت ، قد لا يفهمه الآخرون ، ولكنه يؤدى فى كل الأحوال إلى إنقاذ صاحبه من خطر داهم ..

هذا هو التفسير الوحيد لما أقدم عليه (أدهم صبرى) ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها (أنطوان) زِناد بندقيته ..

كان (أدهم) يصعد فى درجات سُلَّم مبنى القنصلية المصرية فى هدوء ، إلى جوار (منى) ، عندما انتابه فجأة ذلك التوتُّر الغريزى العجيب ، فدفع (منى) جانبًا ، وقفز هو إلى الجانب الآخر ، دون أن يدرى سببًا لما فعل .. وفى نفس اللحظة

التى تحرَّك فيها مرقت رصاصة قاتلة ، فى الفراغ الواقع بينه وبين (منى) ، وارتطمت بإحدى درجات السُّلَّم الرخامى ، ثم ارتدَّت فى صفير قوىّ ، وغاصت وسط حائط المبنى ..

وصرخت (منى) فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجال الأمن نحوهما ، ولكن (أدهم) لم ينتظر وصول رجال الأمن ، وإنما ارتفعت عيناه إلى نافذة واسعة ، فى الطابق العاشر من المبنى المقابل للقنصلية ، ثم اندفع فجأة عَبْر الشارع ،وسط السيارات الضخمة ، وقفز فى رشاقة فوق مقدمة إحداها ، ثم عَبَرها إلى مدخل المبنى الضخم ، وانطلق إلى مصعده ، الذى أسرع يصعد به إلى الطابق العاشر .. كل هذا فى زمن لا يتعدَّى نصف الدقيقة ..

كانت الدهشة من نصيب (أنطوان) ، الذى فوجئ برد الفعل المذهل ، الذى انطلق من أعماق (أدهم) ، فتحطَّم بروده وهو يصرخ فى ذهول :

ــ يا للشيطان ؟!.. كيف نجا هذا الرجل ؟

صاحت (سونيا) وقد تملَّكها الغضب :

ــ كنت أعلم هذا .. لقد رفضت أن تصدِّق ، ما أخبرتك به .

قفز (أنطوان) نحو المنضدة ، والتقط مسدسًا قويًا ، من نوع (الموريس) ، وهو يهتف :

ــ لقد تفادى رصاصتى دون أن يرانى .. هذا مستحيل .. إنها أول مرة يحدث لى فيها ذلك .

قالت وهى تنتزع من حقيبتها مسدسًا صغيرًا :

ــ كل شىء قابل للحدث ، مادام خصمك هو (أدهم صبرى) .

أشار (أنطوان) إلى باب المنزل ، وقال :

ــ هل تعتقدين أنه قادر على الوصول إلى هنا ؟

جاءته الإجابة على شكل رصاصة اخترقت قفل الباب ، ورأى (أنطوان) و (سونيا) شيطانًا يقتحم البهو ، ويصوِّب إليهما مسدسه .. شيطانًا يحمل اسم (أدهم صبرى) .

* * *

وقف الخصمان يتطلَّع كل منهما إلى الآخر بنظرات فاحصة متفرِّسة ، وكأن كلًّا منهما يحاول أن يستشفَّ قوة خصمه وصلابته ، على حين توقفت عضلاتهما كلها عن العمل ، وكأنها تفسح المجال لعقليهما ، ودراسة كل منهما للآخر .. ثم بدأ (أدهم) الحديث بلهجته الساخرة ، قائلًا :

ــ معذرة أيها السادة ، هل أزعجكما قدومى المفاجئ هذا ؟

وكأنما كانت هذه العبارة إيذانًا ببدء القتال ، فقد ارتفعت يد (أنطوان) بسرعة مذهلة ، وانطلقت من مسدسه رصاصة نحو (أدهم) ، الذى انحرف كالبرق ، وكأنه كان يتوقَّع هذه المبادرة وينتظرها .. وطاشت رصاصة (أنطوان) ، على حين انطلقت رصاصة من مسدس (أدهم) لم تخطئ هدفها ، وحطَّمت مسدس (أنطوان) ، الذى ترك مسدسه يفلت من يده ، واندفع فى مبادرة رائعة نحو (أدهم) ، وكال له لكمة ساحقة ، أحنى (أدهم) رأسه ليتفاداها ، ثم هوى بقبضته اليسرى على معدة (أنطوان) ..

كان كلاهما يمتلك الجسارة والقوة اللازمتين لمثل هذا النوع من القتال ..

ولكن (أدهم) كان يمتلك الكثير من الخبرة فى القتال اليدوىّ ..

ومن الطبيعى أن يكون النصر حليفه ..

لولا وجود (سونيا جراهام) ..

لقد تحركت (سونيا) فى سرعة ، والتقطت أحد

مسدسات (أنطوان) المصفوفة فوق المنضدة ، وصوَّبته إلى المتصارعين وهى تصرخ فى حِدَّة :

ــ توقَّفا وإلا أطلقت النار عليكما معًا ..

تراجع (أنطوان) فور سماعه عبارة (سونيا) .. قفز إلى الخلف متخلِّيًا عن خصمه ؛ إذ كان يعلم جيِّدًا أن (سونيا) لن تتردَّد فى إطلاق النار عليهما معًا ، فى سبيل القضاء على (أدهم صبرى) ، الذى كفَّ عن القتال فى هدوء ، وتألَّقت عيناه ببريق ساخر ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول فى هدوء :

ــ مرحَى يا (عزيزتى) (سونيا) .. إننا لم نلتق منذ زمن طويل .

شعرت بالضيق وهى تصوِّب إليه مسدسها ، قائلة :

ــ إنه آخر لقاء بيننا للأسف .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة توحى باللامبالاة ، وهو يقول :

ــ إنها عبارة مستهلكة يا عزيزتى .. لقد سمعتك تنطقينها فى كل مرة نلتقى فيها .

تردَّدت (سونيا) وهى تداعب زِناد مسدسها ، فقد كانت

تعلم أن الوسيلة الوحيدة للقضاء على (أدهم صبرى) هى مباغتته بإطلاق النار ، ولكن شيئًا ما فى أعماقها كان يكبح رغبتها فى قتله ، ويعجز أصابعها عن ضغط الزِّناد ..

حسم (أنطوان) هذا التردُّد ، حينما قفز إلى المنضدة ، والتقط مسدسًا جديدًا صوَّبه إلى (أدهم) ، وأطلق منه النار وهو يهتف بالإيطالية :

ــ إلى اللقاء فى الجحيم ياشيطان المصريين .

تحرَّك (أدهم) فى اللحظة نفسها التى انطلقت فيها الرصاصة ، فمال جانبًا ، وانحنى إلى أسفل ، وهمَّ بالقفز نحو (أنطوان) ، ولكن عينه التقطت إصبع (سونيا) وهى تعتصر زِناد مسدسها المصوَّب إليه ، فعاد ينثنى متفاديًا رصاصتها ، وقفز إلى الوراء ..

وكانت تلك القفزة هى فصل الختام ..

فلقد فوجئ (أدهم) بنفسه يرتطم بزجاج النافذة الضخمة ، ويحطِّمه فى قوة .. وقبل أن يحاول التشبُّث بأى شىء وجد جسده يندفع خارج النافذة ، ثم يهوى إلى الأرض من ارتفاع عشرة طوابق ..

* * *

٦ ـــ المطاردة ..

ساد الوجوم جزءًا من الثانية بعد سقوط (أدهم) من النافذة ، ثم تحرَّك (أنطوان) بسرعة ، فالتقط حقيبته وأسرع يدسّ فيها مسدساته ، ويحل بندقيته ذات المنظار المقرِّب ، ويُودعها فراغًا خاصًا فى الحقيبة ، على حين صاحت (سونيا) :

ـــ لقد سقط (أدهم صبرى) .

قال (أنطوان) وهو يغلق حقيبته ، وينهض على عجل :

ـــ لقد انتهت المهمة أيتها الفاتنة ، وسنغادر المكان على الفور .

تحرَّكت (سونيا) نحو النافذة المحطَّمة ، وهى تهتف فى انفعال :

ـــ سألقِى نظرة على جسده المحطَّم أولًا .

جذبها من ذراعها ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ كلَّا يا فاتنتى .. من المستحيل أن تكون قد تعلَّمت ذلك من (الموساد) .

قالت فى عناد ، وهى تحاول التخلُّص من قبضته :

ـــ لن أتأكد من مصرعه حتى أرى جثته بنفسى .

عاد يجذبها فى قسوة وعنف ، ويقول فى غضب :

ـــ قلت كلَّا يا فاتنتى .. لن أسمح لك بإفساد عملى .. إن (لاس فيجاس) ليست مدينة بلا شُرطة ، لقد انطلق عدد كبير من الرصاصات فى الدقائق الماضية ، وسقط رجل من نافذة الدور العاشر ، ولن تلبث الشُّرطة أن تحيط بنا من كل جانب .

صاحت فى حنق :

ـــ إنها مجرَّد نظرة من النافذة .

أجبرها على متابعته نحو الباب ، وهو يقول :

ـــ سيتطلَّع إليك ألف وجه ، حينما تطلِّين من النافذة التى سقط منها هذا الشيطان المصرىّ يا فاتنتى ، وأنا لن أقضىَ نصف الوقت فى محاولة إخفائك .

ثم استطرد فى صرامة أرعبتها :

ـــ ستتبعيننى فى سكون ، أو أضيف جثة جديدة إلى مشرحة (لاس فيجاس) .

* * *

فى عالم الخطر يكون لكل جزء من الثانية قيمته ، ولكل

خطوة نتائجها ، وقد يتوقَّف ذلك الخيط الرفيع الذى يفصل ما بين الموت والحياة ، على ذلك الجزء من الثانية ..

لقد وجد (أدهم) نفسه يهوِى من الطابق العاشر ، بسرعة الجاذبية الأرضية نحو الشارع ، ولكنه لم يفقد أعصابه لحظة واحدة ، وتحرَّكت عيناه تبحثان عما يتعلَّق به .. والتقطت عيناه واحدًا من الإعلانات المجسَّمة البارزة ، مثبتًا بالطابقين الرابع والثالث ، واتخذ قراره وهو يقترب منهما بتلك السرعة المذهلة .. ولم يكد يصل إلى تلك الأعمدة الحديدية التى تثبت الإعلان فى جدار المبنى ، حتى تحرَّكت قبضتاه فى سرعة ومهارة ، والتفَّت أصابعه حول أول هذه الأعمدة ..

شعر بألم هائل فى عضلات ذراعيه ، حينما توقَّف جسده فجأة على هذا النحو ، وارتطم جسده بالجزء السفلى من الإعلان الزجاجى المجسَّم ، فحطَّمه ، وتركه يهوى وسط المارة ، الذين توقَّفوا يراقبون ذلك العمل المدهش فى ذهول .. ولكن العمود المعدنى لم يتحمل هذا الارتطام المفاجئ ، ولا الثقل الإضافى الذى صنعه جسد (أدهم) ، فأصدر صوت صرير مزعج ، وهو ينثنى ، ويتخلخل من قاعدته ..

ولكن (أدهم) لم ينتظر حتى يتحطَّم العمود ، فتأرجح جزءًا من الثانية ، ثم اندفع عَبْر نافذة الطابق الثالث إلى داخل المبنى مرة ثانية ..



لم تشهد (منى) ذلك العمل المذهل ، فقد أطلقت صرخة ملتاعة ، حينما رأت (أدهم) يهوى من نافذة الطابق العاشر ، ثم تهاوَى جسدها فاقدة الوعى من تأثير الصدمة العصبية ، وتوقَّف المارة جميعهم ، وقد تولَّاهم انفعال شديد ..

ووسط هذا التجمهر من المارة ، عَبَر (أنطوان) و (سونيا) الطريق فى خطوات واسعة ، واندسَّا داخل سيارة رياضية أنيقة ، أدار (أنطوان) محرِّكها فى انفعال ، على حين هتفت (سونيا) وهى تتطلَّع إلى ذلك التجمهر :

— إنهم يلتفون حول جثته ..

انطلق (أنطوان) بالسيارة ، مغمغمًا :

— لا يقلقك هذا يا فاتنتى .. لقد انتقل شيطانك إلى الجحيم ، وسيجد شياطينه كلهم فى انتظاره .. إنه لن يشعر بالوحدة هناك .

* * *

بكت (منى) طويلًا فى غيبوبتها ، وأخذ جسدها يرتعد كما لو أصيبت بالحمى ، وشعرت بيد حانية تجفّف جبينها وهى تستعيد وعيها تدريجيًا ، وفتحت عينيها فى صعوبة .. ولم تكد تفعل حتى تلاشى ذلك الدُّوار الذى ينتابها دفعة واحدة ، واتسعت عيناها عن آخرهما وهى تهتف فى انفعال ودهشة :

— (أدهم) ؟! .. هل نجوت ؟

ربَّت (أدهم) على شعرها فى حنان وهو يبتسم ، قائلًا :

— للقطّ سبعة أرواح يا عزيزتى .

تفجَّرت دموع الفرح من عينيها ، وهى تهتف فى سعادة :

— ولِلَّيث أضعافها يا (أدهم) .

تنبَّهت فجأة إلى رجال القنصلية المصرية ، الذين يملئون حجرة القنصل حيث ترقد ، فشعرت ببعض الخجل ، وحاولت التملُّص منه بسؤال (أدهم) :

— كيف نجوت يا سيادة العقيد ؟

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

— لقد استضافنى سكان الطابق الثالث يا عزيزتى .. ولكنهم يصرُّون على أن أدفع ثمن زجاج نافذتهم المحطَّم .

ثم ربَّت على كتفها ، واستدار إلى القنصل ، قائلًا :

— هل يمكننى إرسال برقية شفرية عاجلة إلى القاهرة يا سيِّدى ؟

أومأ القنصل برأسه موافقًا ، وقال :

— كل إمكاناتنا تحت أمرك أيها العقيد .

تعلَّقت (منى) بذراع (أدهم) ، وتركته يعاونها على النهوض ، ثم سألته هامسة :

— ماذا ستطلب من القاهرة ؟

أجابها فى هدوء ، وبصوت خفيض :

— سأطلب منهم إرسال صديقنا البدين (قدرى) على أول طائرة قادمة .. وعليه أن يستخدم مواهبه فى الرسم طوال الطريق ، ليصنع لنا صورة لرجل مستطيل الوجه ، أسود الشعر ، ناعمه ، له أنف مستقيم ، وعينان سوداوان ، أبيض البشرة ، صارم الملامح ، وسيم .. وسيكون على الإدارة أن تطلق

كل رجالها للتحرّى عن هذا الرجل ، الذى يتحدّث الإيطالية بلهجة أبناء (ميلانو) .

سألته فى اهتمام :

ـــ أهو ذلك الذى أطلق علينا النار ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وتألّقت عيناه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ إنه كذلك يا عزيزتى .. وفور وصول صديقنا (قدرى) سنبدأ مطاردة عكسية .. سنسعى نحن خلف هذا القاتل ، سنحاول أن نقتنصه قبل أن يكرّر محاولته .. ولتكن مطاردة حتى الموت .

* * *



٧ ـــ عمليـة صـيد ..

ظهر التبرُّم على وجه (قدرى) وهو يعبُر بوّابة الوصول فى مطار (لاس فيجاس) ، ودار بعينيه حوله باحثًا عن (أدهم) ، الذى كان من المفترض أن ينتظره هناك ، ثم لم يلبث أن زفر فى ضيق ، وهو يغمغم ساخطًا :

ـــ يا للسخافة !! ينتزعوننى من فراشى فى الرابعة صباحًا ، ويلقُوننى فى أول طائرة ، وأقضى فترة الطيران كلها فى صنع الرسوم التى طلبها (أدهم) ، ثم أصل إلى هنا فلا أجد من ينتظرنى و ....

وبتر عبارته فجأة ، حينما سمع صوتًا مألوفًا ، ضاحكًا يهمس فى أذنه :

ـــ معذرة يا صديقى البدين .. لقد أردت أن أحضر إليك ما تأكله ، حتى لا تلتهمنى من شدة جوعك .

دار جسد (قدرى) البدين فى رشاقة تتعارض وحجمه الهائل ، وتطلّعت عيناه بدهشة فى وجه الزنجىّ طويل القامة ،

عريض المنكبين ، الذى يبتسم بشفتيه الغليظتين ، ويمدّ يده نحوه ، بكيس من الشطائر الساخنة ..

لم يفهم روَّاد المطار سبب تلك الضحكة العالية المجلجلة التى انطلقت من فم (قدرى) ، وأدهشهم ارتجاج جسده البالغ البدانة مع ضحكاته ، ولكن أحدهم لم يستمع إليه حينما مال نحو الزنجىِّ الطويل ، وصافحه فى حرارة وهو يهمس فى مرح :

ـــ مرحَى يا (أدهم) ، إن قدرتك على التنكُّر تزداد براعةً مع الأيام ، لقد عجزت عن معرفتك فى اللحظات الأولى .. أنت رائع فى هذا التنكُّر الزّنجى .

تناول (أدهم) يد (قدرى) ، وقاده فى هدوء إلى سيارة كبيرة زرقاء ، وهو يقول :

ـــ إنى أحاول الإفادة من تعاليمك يا صديقى .

أطلق (قدرى) ضحكة أخرى ، وهو يحشر جسده البدين فى مقعد السيارة الخلفى ، ويقول :

ـــ عجبًا .. أتحاول التملُّص من أستاذيتك يا صديقى ؟

أدار (أدهم) محرِّك سيارته ، وهو يقول فى جدِّيَة :

ـــ دَعْنا من العبث أيها البدين ، وأخبرنى هل أحضرت الرسوم ؟

فتح (قدرى) حقيبته ، وناول الرسوم التى أعدّها إلى (أدهم) ، قائلًا :

ـــ ها هى ذى الرسوم .

أدار (أدهم) محرِّك السيارة ، وانطلق وهو يغمغم فى هدوء :

ـــ دَعْها حتى نصل إلى المنزل الآمن الذى أعدَّته مخابراتنا يا (قدرى)(*) .

ثم أردف فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ فقد قرَّرت تحويل العملية بأكملها إلى عملية صيد .

* * *

هناك فى ذلك المنزل الآمن ، انهمكت (منى) فى إعداد وجبة دسمة على الطريقة المصرية من أجل (قدرى) ، على حين جلس هذا الأخير يتطلَّع إلى (أدهم) فى اهتمام ، وهو يفحص الرسوم واحدةً بعد الأخرى ، ثم سأله حينما تبيَّن عدم الرِّضا فى ملامحه :

ـــ أيها تشبه ذلك الإيطالى يا (أدهم) ؟

(*) المنزل الآمن (Save House) ، مصطلح يطلقه رجال المخابرات على المكان الذى يتم اختياره فى عناية بعيدًا عن عيون الأعداء .

هزَّ (أدهم) رأسه ، وهو يقول :

ــ ولا واحدة يا (قدرى) .

ظهرت خيبة الأمل على وجه (قدرى) ، ونهض يفحص الرسوم بدوره ، على حين قال (أدهم) وهو يشير إلى الرسوم :

ــ لو أننا وضعنا هذا النوع من الشعر ، مع تلك التصفيفة فى الرسم الآخر ، وأضفنا ذلك الوجه من الرسم الثالث ..

قاطعه (قدرى) وهو يتناول ورقة وقلمًا ، ويقول :

ــ دَعْنا نفعل ذلك على الفور .

بدأ (أدهم) يصف ما يريد ، و (قدرى) يجرى بقلمه على الأوراق متبعًا الإرشادات ، حتى ظهر الارتياح على وجه (أدهم) ، وانتقل إلى نبراته وهو يقول :

ــ ها هو ذا ..

كان الرسم الذى انتهى إليه (قدرى) هو صورة طبق الأصل من (أنطوان) ، تناولها (أدهم) لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ــ إنه هو بعينه .. سنرسل الصورة عن طريق الهاتف(*) ، ولينشط رجالنا فى جمع أكبر قدر من المعلومات عن صاحبها .

(*) نظام إرسال الصور ، والرسوم ، والوثائق عن طريق الهاتف يعدُّ من الأنظمة الحديثة فى عالم التراسل ، وهو يستخدم منذ عام ١٩٨٥ فى مصر ، فيما يعرف باسم (البريد الهاتفى السريع) .

ثم ابتسم ، وهو يقول :

ــ يبدو أنها ستتحوَّل إلى عملية صيد ممتعة .. أليس كذلك يا صديقى ؟

ولمَّا لم يتلقَّ إجابة ، التفت إلى (قدرى) فى تساؤل ، وابتسم حينما رآه قد أغلق عينيه ، وأخذ يلعق شفتيه بطرف لسانه ، فسأله ضاحكًا :

ــ ماذا أصابك أيها البدين ؟

تشمَّم (قدرى) الهواء فى نشوة ، وقال وهو يحرِّك رأسه فى بطء :

ــ رويْدك يا (أدهم) .. لقد نلت ما طلبته منِّى ، دَعْنى أحفز لعابى برائحة الطعام الشهية .

أطلق (أدهم) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ــ عجبًا !! أنت تتحدَّث عن الطعام كما يتحدث عاشق عن محبوبته .

لم يهتم (قدرى) بإجابته ، فقد دخلت (منى) فى هذه اللحظة ، وهى تحمل أطباق الطعام ذات الرائحة الشهية ، وقفز (قدرى) على الرغم من جسده المكتظ ، وتناول منها الأطباق وهو يهتف فى سعادة :

— دَعِيه يسخر ما شاء يا عزيزتى ، لن يغضبنى حديثه ما دمت أتمتع بهذا الطعام الشهىّ .

* * *

ألقى (أنطوان مانيللى) الصحيفة التى يطالعها فى غضب ، ونهض يدور فى أنحاء الحجرة ساخطًا ، وتطلّعت إليه (سونيا) فى هدوء لا يخلو من الشّماتة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وقالت فى برود أثار أعصابه :

— ألمْ أقل لك إن قتل رجل مثل (أدهم صبرى) ، لا يمكن أن يتم بهذه البساطة ؟

لوّح بذراعه فى غضب ، وقال :

— هل تصدّقين ما كتبته هذه الصحيفة المخرّفة ؟.. هل يُعقلُ أن يسقط رجل من الطابق العاشر ، فيتعلق بإعلان مجسّم فى الطابع الرابع ، ويقفز إلى الطابق الثالث ؟.. هكذا ببساطة .. هذا مستحيل .

قالت (سونيا) فى هدوء ، وكأنها تتعمّد إثارة أعصابه :

— لا وجود للمستحيل ، ما دمت تحارب (أدهم صبرى) .

استدار إليها فى غضب ، وحَدَجها بنظرة ناريّة ، وهو يقول :

— خبّرينى بحقّ الشيطان ، أضد (أدهم صبرى) تعملين ، أم معه ؟

باغتها سؤاله ، فأطفأت سيجارتها ، وهى تقول فى غضب :

— لماذا ترفض الاعتراف بقوة خصمك ؟ إن نكرانك قدرته لن يكفل لك النصر .

مطّ شفتيه فى حنق ، وقال :

— اصمتى أيتها العنيدة .. لست أدرى لماذا تصرّين على متابعتى فى عملى ؟.. لقد كان عملك يقتصر على جذب هذا الشيطان المصرىّ إلى هنا ، وقد كان .. ولم يعد هناك من داعٍ لتواجدك .. إن قتله هو مهمتى أنا ، لِمَ لا تعودين إلى دولتك ؟

أجابته فى برود :

— ربما احتجت إلى معاونتى .

انطلقت من بين شفتيه ضحكة مغتصبة ، وهو يقول فى سخرية :

— أنا أحتاج إليك ؟!.. (أنطوان مانيللى) يحتاج إلى امرأة .. يا لك من حمقاء مغرورة !!

لم يبد على ملامحها ذلك الغضب الذى أشعلته كلماته فى أعماقها ، وبدت باردة وهى تقول :

ــ احترس وأنت تتحدَّث إلىَّ أيها الإيطالى ، فتلك الحمقاء المغرورة يمكنها أن تمزِّقك إربًا لو أرادت .

تطلَّع إليها فى استهتار ، ساخر ، ثم لم يلبث أن طوَّح ذراعه ، وهو يقول فى ضجر :

ــ حسنًا .. حسنًا .. دَعِينا من هذا الجدل العقيم .. لقد فقدنا أثر هذا الشيطان المصرى ، وفقدنا زمام المبادرة ، وسيحتاج الأمر إلى وقت طويل ، قبل أن نوقع به مرة ثانية .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ــ لا تقلق من أجل ذلك .. ستلتقى به بأسرع مما تتوقَّع .

التفت إليها فى دهشة ، وهتف :

ــ ماذا تعنين بحقِّ الجحيم ؟.. هل سيمشِّط رجالكم (لاس فيجاس) بأكملها بحثًا عنه ؟

هزَّت رأسها نفيًا فى هدوء ، وقالت :

ــ إننا لن نفعل شيئًا يا عزيزى (أنطوان) ، هو الذى سيفعل .

عقد حاجبيه ، وازداد التساؤل فى ملامحه ، فأشعلت هى سيجارة أخرى فى بطء ، وكأنها تتعمَّد إغاظته ، وأخذت تنفث الدخان فى هدوء ، حتى هتف غاضبًا :

ــ حسنًا .. ماذا تعنين ؟

أجابته فى هدوء مشوب بالسخرية :

ــ لقد أطلقت النار على (أدهم) ، وهزمته فى اللقاء الأول بينكما .. وهو رجل لا يعرف الغفران ، ولم يعتد الهزائم ، ولن يغمض له جفن قبل أن يصل إليك ويحطِّمك .

قال فى حِدَّة :

ــ تقصدين قبل أن أقتله .

مطَّت شفتيها الجميلتين ، وهى تهز أكتافها ، قائلةً :

ــ سيقتل أحدكما الآخر ولا شك .

قال فى عناد ، وهو يضرب الأرض بقدمه :

ــ سأقتله أنا .

عادت تهزّ كتفيها ، قائلةً :

ــ يمكنك أن تحاول على الأقل .

صاح فى حنق :

ــ ماذا تحاولين أن تفعلى ؟

أجابته وهى تجلس فى هدوء :

ــ أحاول التفكير دون توتُّر يا عزيزى (أنطوان) .. فصديقنا (أدهم صبرى) سيبذل كل المحاولات الممكنة للوصول إلينا ، وكل ما علينا هو أن نسهِّل له مهمته هذه ، ونحاول اجتذابه إلى المكان الذى يقع عليه اختيارنا .

تألَّقت عيناه ، وهو يطرقع إصبعه مكملًا :

ــ وعندئذ .. نقتله .. هذا هو الأسلوب الذى أفضِّله .

* * *

٨ ــ رسالة من مصر ..

اندفع (قدرى) بجسده البدين إلى حجرة (أدهم) ، وهو يلوّح بورقة مطويّة فى كفّه ، هاتفًا :

ــ لقد وصلت هذه البرقية توًّا يا صديقى ، إنها مرسلة من (الشركة الدولية للاستيراد) .

التقط (أدهم) الورقة من يد (قدرى) فى اهتمام .. فقد كانت (الشركة الدولية للاستيراد) هى الغطاء الكودى الذى يطلق على (إدارة المخابرات العامة المصرية) .. وفضّها فى لهفة ، ثم قرأ الكلمات ذات المظهر العادىّ التى تزينها ، وعاد يطويها ، وهو يقول فى لهفة تشفّ عن السخرية :

ــ يا إلٰهى !! .. إن صديقنا الإيطالى هذا رجل ذو شأن .

سألته (منى) فى اهتمام :

ــ هل علموا كل شىء عنه ؟

أجابها وهو يدسّ الورقة فى جيب سترته :

ــ نعم يا عزيزتى .. إنه أشهر قاتل محترف ، ضمته صفوف

(المافيا) ، وهو لا يعمل إلّا من أجل القضاء على الأشخاص الذين يصعب نيلهم ، وهو يتقاضى مبلغًا خرافيًّا نظير عمله .

غمغمت (منى) فى دهشة :

ــ ومن الذى أتى به إلى هنا ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ يبدو أنّ أوغاد (الموساد) يتصوَّرون أننى رجل بالغ الخطورة ؛ لذا فقد استأجروا هذا المحترف لقتلى .

هز (قدرى) كتفيه المكتظين ، وقال فى بساطة :

ــ أنت كذلك بالفعل يا صديقى .

ابتسم (أدهم) وهو يتناول سمّاعة الهاتف ، قائلًا :

ــ أنت تبعث فى نفسى الغرور يا صديقى البدين .

ولم يكد (أدهم) يسمع صوت محدّثه على الجانب الآخر من الهاتف ، حتى قال :

ــ هنا (أكرم صدقى) .. أريد كل ما لديكم من معلومات عن السيارة الجديدة (ستاندرجالون) .

واستمع فى هدوء بعض الوقت ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، ثم وضع سمّاعة الهاتف ، واستدار إلى زميله ، وابتسم وهو يقول :

ــ لقد توصَّل رجالنا إلى مكان عزيزتنا (سونيا) ، وهذا الوغد الإيطالى .

ضحك (قدرى) فى جذل ، وهتفت (منى) فى مرح .

ــ أبهذه السرعة ؟

تجاهل (أدهم) انفعاليهما ، وقال فى هدوء يشتَمّ منه المرء رائحة الحزم :

ــ يبدو أننا سنفاجئ صديقتنا (سونيا) بزيارة مبكّرة .. إن عملية الصيد تصبح أكثر متعة على هذا النحو .

★ ★ ★

رقدت (سونيا جراهام) فوق تل مرتفع ، تراقب الطريق من بعيد بواسطة منظارها المقرِّب ، على حين ظهر الملل على وجه (أنطوان) ، الذى يجلس محيطًا ساقيه المضمومتين بذراعيه ، ولم يلبث أن هتف فى حنق :

ــ هل سنقضى يومنا كله على هذه الصورة ؟

أجابته فى هدوء ، دون أن تلتفت ، أو ترفع المنظار عن عينيها .

ــ الصيد يحتاج دائمًا إلى الصبر يا عزيزى (أنطوان) .

لوَّح بذراعه كعادته كلَّما أصابه الضجر ، وقال فى حدَّة :

ــ لقد سئمت أساليبكم هذه .. إنها تخالف كل ما كنت أفعله فى الماضى .

قالت فى برود :

ــ ربما تعلمت أسلوبًا جديدًا هذه المرة .

ظهر الغضب فى ملامحه ، وقال :

ــ أسلوبًا جديدًا ؟! .. يا للسخافة !! إن أساليبى ناجحة للغاية ، وهذا ما يجعل ثمنى مرتفعًا .. هل تعلمين كيف اغتلت ذلك الديبلوماسى الفرنسى فى ....

قاطعته ، وهى تقول :

ــ دَعْنا من قصصك السخيفة هذه يا عزيزى (أنطوان) ، وحاول أن تعاوننى هذه المرة .

ضرب الأرض الصخرية بقبضته ، مغمغمًا :

ــ إننى لم أعتد الصيد بهذه الوسيلة .

قالت (سونيا) ، وهى تراقب الطريق جيِّدًا :

ــ اسمع يا (أنطوان) .. إن (أدهم صبرى) رجل مخابرات متميِّز ، وله أسلوبه الخاص ، الذى يتعارض فى كثير من الأحيان مع كل الأساليب المعروفة فى عالم المخابرات .. ولكننى خبَرت أسلوبه هذا طويلًا ، وأصبح بإمكانى استنتاج كل خطوة



وقالت فى لهجة هى أقرب إلى اللّهاث من شدة الانفعال :
ــ أعِدّ عُدَّتك يا (أنطوان) .. لقد ظهر الصيد .

يمكنه أن يقدم عليها ، وهذه الخبرة هى السبب الرئيسى فى اختيارى لمعاونتك فى مثل هذه المهمة .

سألها فى سخرية :

ــ وماذا تقول خبرتك هذه ؟

أجابته فى هدوء :

ــ لقد تعمّدت الظهور أمام رجال المخابرات المصرية ، الذين يبحثون عنا منذ البارحة ، وسوف يبلّغون الأمر إلى (أدهم صبرى) على وجه السرعة ، وهو لن ينتظر حتى يباغتنا فى الظلام ، بل سيهرع إلينا فور معرفته مكاننا .. والطريق الوحيد إلينا سيضطره لقيادة سيارته فوق هذا الجرف الصخرى الذى يمتد فوقه طريق ضيق . يمتلئ بعدد لا بأس به من المنحنيات الخطيرة .. وأنا أحاول التقاط سيارته منذ بداية الجرف .. وكل ما عليك هو أن تفجّر إطاراتها برصاصاتك ، حينما يدور هو بسيارته فى أخطر منحنيات الجرف .. هل فهمت خطّتى ؟

صمت لحظة ، وقد أدرك بساطة خطّتها وفعاليتها ، ولكن عناده أبى الاعتراف لها بالتفوق . فقال وهو يمطّ شفتيه فى ضيق :

ــ أراهنك أنه لن يظهر أبدًا .

لم تجبه (سونيا) ، وإنما تصلّبت أصابعها حول منظارها المقرّب ، وقالت فى لهجة هى أقرب إلى اللّهاث من شدة الانفعال :

ــ أعِدّ عُدَّتك يا (أنطوان) .. لقد ظهر الصيد .

قفز (أنطوان) إلى بندقيته ذات المنظار المقرِّب ، وهو يهتف فى انفعال مماثل :

ــ أحقًّا ؟!

رقد (أنطوان) على بطنه ، وأسند كعب بندقيته إلى كتفه ، وألصق عينه بعدسة المنظار المقرِّب ، على حين تابعت هى ، وانفعالها يتزايد مع كلماتها :

ــ إنه ينطلق بسرعة مائة وخمسين كيلومترًا على الأقل ، ويركب سيارة زرقاء كبيرة من نوع (الفورد) ، وإلى جواره زميلته سوداء الشعر ، على حين يجلس رجل بالغ البدانة فى المقعد الخلفى .. سيصلون إلى مرمى نيرانك بعد دقيقتين على الأكثر .

أجبر (أنطوان) جسده على الاسترخاء ، وقال وهو ينتظر ظهور السيارة الزرقاء :

ــ حسنًا يا فاتنتى .. سأعتذر لسخريتى منك اعتذارًا مناسبًا ، على شكل رصاصة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهرت أمام عدساته سيارة (أدهم) الزرقاء ، وحينما دارت حول المنحنى بسرعتها الكبيرة ، ضغط (أنطوان) زِناد بندقيته فى هدوء ، وانطلقت رصاصته نحو الإطار الأمامى لها .

* * *

كانت (منى) تشعر بقلق خفىّ ، منذ انطلاقها مع (أدهم) ، و (قدرى) عَبْر هذا الجرف الصخرى ، وتزايد قلقها مع السرعة التى ينطلق بها (أدهم) ، فقالت وهى تمسّ كفّه فى رفق :

ــ أنت تنطلق بسرعة كبيرة ، على الرغم من ضيق الطريق ، وكثرة منحنياته .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، على حين أطلق (قدرى) ، ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

ــ دَعِيه يفرغ انفعاله مع القيادة أيتها النقيب ، ولا تخشى شيئًا ، حتى السيارة لن تجرؤ على مخالفة أوامره .

قالت فى توتُّر وحِدَّة :

ــ ولكن هذا يشعرنى بالقلق .

ضغط (أدهم) (فرامل) سيارته قليلًا ، فى محاولة لتهدئة سرعتها ، وهو يدور حول المنحنى التالى ، قائلًا :

ــ حسنًا يا عزيزتى ، لن أزيد توتُّرك وقلقك .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انفجر إطار السيارة الأمامى ، ومالت فى عنف نحو الجرف الصخرى ، وتجمَّدت ضحكة فى فم (قدرى) ، على حين شهقت (منى) فى رعب ، وهى ترى السيارة تندفع نحو المنخفض ، الذى يبلغ عمقه كيلومترين على الأقل .

* * *

٩ ـ إلى الجحيم ..

هناك من المواقف مايفقد فيه أشد الرجال أعصابهم ، واتزانهم ، إنها تلك المواقف التى يقترب فيها الإنسان من الموت ، حتى ليكاد يشتَمّ رائحته عن قُرب ، ويرى وجهه الساخر المرير ..

وفى مثل هذه المواقف يقتنص الموت من يخشونه ، ويسخر ممن يرهبونه ..

قليلون هم من يسخرون من الموت فى مثل هذه اللحظات ..

قليلون هم من يقلبون الصورة ، فيرهبهم الموت ولا يرهبونه ..

و (أدهم صبرى) يجلس على قمة هذه الصفوة ..

فلم تكد سيارته تفقد توازنها مع انفجار إطارها ، حتى تألَّقت حواسه كلها دفعة واحدة ، وتصلَّبت قبضتاه ككلَّابتين من الفولاذ على عجلة القيادة ، وانحرف بالسيارة قبل سنتيمتر واحد من حافة الجرف ، فأجبرها على العودة إلى الطريق الضيق وهى تطلق صريرًا مزعجًا ، كأنها تتنهَّد ارتياحًا لنجاتها ، ثم

تحرَّكت يمناه فى سرعة ، وأعادت ذراع السرعة إلى الوضع الأول ، على حين ضغطت قدمه دوَّاسة الإيقاف فى هدوء وبطء ، كأنما يعبُر طريقًا واسعًا يخلُو من السيارات والمارَّة ، ومالت السيارة نحو الجانب الآخر ، حيث يرتفع حائط صخرى كبير ، وارتطمت به فى عنف ، قبل أن تتوقف ، ويئن محركها فى ألم ..

ساد الصمت لحظة ، ثم هتفت (منى) وهى تلقى عن جسدها زجاج السيارة المحطَّم :

ـ يا إلٰهى !! لم أصدِّق هذه المرَّة أننا يمكن أن ننجو .

هتف (قدرى) ، الذى شحب وجهه على الرغم من بدانته المفرطة :

ـ لقد أنقذتنى بدانتى .. لقد ارتطمت بالمقعد الأمامى .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ أراهن أنك عُدْت ترتدُّ كالكرة .

صاحت (منى) :

ـ ماذا حدث ؟.. أعنى كيف انحرفت السيارة على هذا النحو ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ لقد كانوا ينتظروننا يا عزيزتى ، ويبدو أن هذا الوغد الإيطالى يجيد التصويب إلى درجة عالية .

هتف (قدرى) :

ــ هل تعنى ؟..

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ نعم يا صديقى البدين .. لقد رأى أننا نجونا ، ولا ريب أنه ينتظر ظهورنا ، حتى يمطرنا برصاصاته .

عقدت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ــ ماذا علينا أن نفعل إذن ؟

غادر (أدهم) السيارة ، وهو يقول فى بساطة :

ــ الهجوم خير وسيلة للدفاع .

سألته فى قلق :

ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابها وهو يبتسم ساخرًا :

ــ يا له من سؤال !!.. سأهاجم هذا الوغد الإيطالى بالطبع ، سأحطِّمه قبل أن يعاود الكرَّة ، فلقد سئمت أن أكون هدفًا له .

* * *

رأى (أنطوان) و (سونيا) ما حدث ، وصاحت هى فى غضب :

ــ يا للشيطان !! لقد نجا .

أما (أنطوان) فلم يزد على أن ردَّد فى ذهول :

ــ هذا مستحيل .. مستحيل .

ثم التفت إليها صائحًا فى غضب :

ــ لقد أخطأت حينما أطعتك دون تفكير ، كان من الأفضل أن أطلق النار على رأسه ، لا على إطار سيارته .

صاحت فى غضب :

ــ هل اعتدت إلقاء أخطائك على الآخرين ؟

نهض على عجل ، وفتح حقيبته ، والتقط منها جسمًا أسطوانيًا صغيرًا ، امتدت منه عدة أسلاك ذات ألوان مختلفة ، على حين هتفت هى :

ــ لا تضع المزيد من الوقت ، ما دام (أدهم صبرى) قد نجا ، فستجده أمامك بعد بضع دقائق .

قال فى عصبية ، وهو يثبت الجسم الأسطوانى أسفل بندقيته :

ــ فليأت على الرّحب والسّعة .

صاحت فى حنق :

ـــ لن يمكنك هزيمته فى قتال بالأيدى .

ابتسم فى غضب ، وهو يقول :

ـــ ومن قال إننى سأنتظره ؟

وكان قد انتهى من تثبيت الجسم الأسطوانى فى بندقيته ، ووضعها على الأرض بحيث تخفى الجسم بين الصخور ، ثم التفت إلى (سونيا) وقال :

ـــ هيَّا بنا .. سنبتعد عن هذا المكان بأقصى سرعة .

سألته فى فضول :

ـــ ماذا فعلت ؟

أجابها وهو يبتسم فى سخرية :

ـــ يبدو أنى قد بدأت أفهم شيطانكم المصرى هذا .. إنه سيهرع إلى هنا ولا شك ، ولكنه سيجد بندقيتى وحدها ، ولست أشك فى أنه سيلتقطها ، وحينئذ ....

أكمل عبارته بحركة من كفَّيه توحِى بحدوث أمر جَلَل ، فهتفت (سونيا) ، وقد تألَّقت عيناها فى جذل وشراسة :

ـــ يا لك من عبقرى !! هل ستضحِّى ببندقيتك ؟

جذبها من ذراعها ، وأسرع نحو سيارته وهو يقول :

ـــ إن مليونين من الدولارات كفيلة بشراء دبابة كاملة يا فاتنتى .. المهم هو ألَّا يفشل (أنطوان مانيللى) فى القضاء على رجل واحد ، حتى ولو كان ذلك الشيطان المصرى ، الذى تسمُّونه (أدهم صبرى) .

* * *

انطلق (أدهم) يصعد المرتفع الصخرى فى رشاقة وحيوية ، ولم يكد يصل إلى نهايته ، حتى تطلَّع حوله فى حَذر ، وعقد حاجبيه حينما تبيَّن خلوّ المكان ، وغمغم فى ضيق :



ـــ عجبًا !! هذا هو المكان الوحيد الذى يمكنه منه

إطلاق النار على إطار سيارتى ، وأنا أعبُر ذلك المنحنى بالذات .

جابت عيناه المكان بمزيد من الحَذَر ، ثم توقفتا عند البندقية ذات المنظار ، الملقاة فوق الصخور ، فضاقت حدقتاه ، وزاد انعقاد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إنها المرة الأولى التى أرى فيها صيادًا يتخلَّى عن سلاحه ، مهما بلغ به من الرعب .

تلفَّتَ حوله وقد انتابه شعور بالخطر ، ولكنه تبيَّن أن أحدًا لا يمكنه أن يصيبه فى موقعه هذا ، وأنه لا يوجد مكان يصلح لاختباء رجل فوق المرتفع الصخرى .. ثم عاد يتطلَّع إلى البندقية متسائلًا ، وتقدَّم منها بخطوات هادئة ، ووقف إلى جوارها عاقدًا ساعديه أمام صدره ، يتفحَّصها فى خبرة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال :

ــ ربما كان حملها يعوقه عن الهرب بالسرعة الكافية .

ثم انحنى فى هدوء ، ومدَّ يده يلتقط البندقية .

* * *

أوقف (أنطوان) سيارته على بعد مناسب ، والتفت يتطلَّع إلى المرتفع الصخرى من بعيد ، وسأل (سونيا) فى توتُّر :

ــ هل ترين الرجل بمنظارك المقرِّب ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ لا يمكننى رؤيته من هذه الزاوية .

فرك كـ فى قلق ، وقال :

ــ سيلتقط البندقية .. إنه لن يتركها هكذا .. أليس كذلك ؟

مطَّت (سونيا) شفتيها ، وقالت :

ــ من الصعب استنتاج ما قد يقدِم عليه (أدهم صبرى) فى مثل هذه الحالة .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أنطوان) فى عناد :

ــ سيلتقطها .. أراهن بمائة دولار أنه سيفعل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوَّى انفجار رهيب فوق المرتفع الصخرى ، وتصاعدت النيران لحظة قبل أن تخبو ، وتفسح فى المجال لسحابة من الدخان الأسود .. وصرخ (أنطوان) فى سعادة وانفعال :

ــ لقد نجحنا .. ها قد تحول شيطانك المصرى إلى أشلاء مبعثرة .

ثم لوَّح بقبضته فى الهواء وهو يستطرد :

ــ إلى الجحيم يا (أدهم صبرى) .

* * *

١٠ ـــ الثعـــالب ..

خفق قلب (منى) مع صوت الانفجار ، وقفزت خارج السيارة ، وهى تهتف فى جزع :

ــ يا إلٰهى !! إنها قنبلة .. لقد أصابوا (أدهم) بقنبلة .

ومن العجيب أن (قدرى) أيضًا قفز خارج السيارة ، على الرغم من بدانته الشديدة ، وانطلق يسبقها عَدْوًا على نحو مثير للدهشة ، وهو يردِّد :

ــ لن ينالوا صديقى على هذا النحو .. لن ينالوه هكذا .

بعث الجزَع والوفاء فى جسده مرونة مذهلة ، ورشاقة لا تتناسب وحجمه ، حتى وصل إلى المرتفع الصخرى ، وهنا بدأ يلهث وهو يتسلَّق فى صعوبة ، ولحقت به (منى) دون تعليق ، وأخذت تصعد فى المرتفع الصخرى إلى جواره فى لهفة ، وفى نهاية المرتفع كانت أنفاس (قدرى) قد تقطَّعت تمامًا ، ومدَّ يده يحاول التشبُّث بصخرة بارزة ، إلَّا أن الصخرة المسكينة لم تحتمل ثقله ، فقفزت من مكانها ، وأفقده هذا اتزانه ،

فجحظت عيناه وهو يحاول التشبُّث بأى شىء .. وفى حركة غريزية تعلَّق بثوب (منى) ، وكاد يجذبها معه إلى أسفل ، لولا أن قبضت على معصمه فى اللحظة الأخيرة قبضة قويَّة ، أعادت إليه اتزانه وتماسكه ، وجذبته إلى أعلى على الرغم من ثقله ..

رفع (قدرى) و (منى) عينهما إلى صاحب القبضة الفولاذية ، وانطلق من حنجرتيهما صراخ واحد يموج بالفرح :

ــ (أدهم) ؟.. ربَّاه !! إنك حىٌّ ترزق .

* * *

جلس (قدرى) يلهث من شدة التعب والانفعال فوق المرتفع الصخرى ، وأخذ يجفِّف نهرًا من العرق يتصبَّب على وجهه ، على حين تعلَّقت عينا (منى) بـ(أدهم) ، الذى وقف هادئًا باسمًا ، وقد فقد سترته ، وهتفت فى انفعال :

ــ ماذا حدث إذن ؟.. لقد سمعنا صوت الانفجار و ....

قاطعها قائلًا فى سخرية :

ــ هذا الإيطالى الوغد قاتل محترف بحقٍّ يا عزيزتى .. لقد ترك بندقيته هنا وثبَّت بها أسطوانة من المتفجِّرات .. ولقد كدت ألتقطها بالفعل ، لولا أن تنبَّهت فجأة إلى أنه لو كان قد ألقى بندقيته على عجل ، ما استقرت فى هذا الوضع المثالىّ بين

الصخور .. وقادنى هذا إلى أنه وضعها متعمَّدًا ، مما يؤكد وجود فخّ ما ، وهنا خلعت سترتى ومزقتها ؛ لأصنع منها حبلًا طويلًا ، أوصلته بماسورة البندقية ، ثم اختفيت عند حافة المرتفع ، وجذبت البندقية .. ولم أكد أفعل حتى تفجَّرت العبوة الناسفة أسفلها .

أطلق (قدرى) ضحكة اختلطت بلهاثه ، وهو يقول :

ـ يا لك من ثعلب ماكر !!

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :

ـ هكذا هو عالم المخابرات يا صديقى البدين .. صراع دائم بين الثعالب ، يفوز فيه أكثرها خبثًا ودهاءً .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، مردفًا :

ـ ولقد قرَّرت الحصول على هذا الفوز .

* * *

أمسك (أنطوان) واحدًا من مسدساته المختلفة ، وأخذ ينظِّفه فى عناية ، وهو يتطلَّع فى سخرية إلى (سونيا) ، التى التفَّ حولها دخان سجائرها فى كثافة ، وقال بالإيطالية :

ـ عجبًا !! إنك تبدين واجمة يا فاتنتى كأنما فقدت حبيبًا .. لقد كنت أظنك و (أدهم) هذا خصمين متناحرين .

غمغمت بكلمات عبريَّة لم يفهمها ، فسألها فى تهكُّم :

ـ ماذا أصابك ؟

التفتت إليه فى غضب ، وصاحت بلغته الإيطالية :

ـ سُحقًا لك .. ما الذى تسعى إلى إثباته ؟

تطلَّع إليها بعينين ساخرتين ، وهو يقول فى لهجة مسرحيَّة تهكُّمية :

ـ لقد كنت غارقةً فى هوًى ذلك المصرى يا فاتنتى .

أشاحت بكفِّها فى سخط ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ إنك لا تفهم شيئًا .. إن (أدهم) لم يكن يومًا سوى خصم تمنَّيت مصرعه .

قال دون أن يفقد تهكُّمه :

ـ لماذا أصابك تحقُّق أمنيتك بكل هذا الوجوم إذن ؟

ظهر الضيق فى ملامحها الرقيقة ، وقالت :

ـ كثيرًا ما يألف المرء خصمه ، حتى يصبح من الصعب عليه تصوُّر اختفائه من حلبة الصراع .

أطلق (أنطوان) ضحكة ساخرة ، دون أن يعلِّق على عبارتها الأخيرة ، وأرادت الإفلات من سخريته ، فقالت فى توتُّر :

— ماذا تنوى أن تفعل ، بعد أن نجحت فى مهمتك ؟

هزَّ كتفيه وهو يعود إلى العناية بمسدسه ، وقال :

— سأتوجَّه بكل بساطة إلى قنصليتكم ، وأتقاضى المليون دولار الباقية .

صمتت لحظة وهى تتأمَّله ، ثم قالت :

— ألَا تشعر بالفخر لنجاحك فى التفوُّق على خصم مثل (أدهم صبرى) ؟

هزَّ كتفيه مرة ثانية فى استهتار ، وقال :

— إننى لم أبذل الكثير فى سبيل القضاء عليه ، لقد قتلته بالأسلوب نفسه ، الذى اتبعته مع ذلك المفتش الإنجليزى فى (لندن) عام ....

قاطعته وهى تلوِّح بكفِّها ، قائلةً :

— لست مستعدة لسماع مغامراتك السخيفة .

وتحرَّكت فى عصبيَّة إلى باب حجرته ، فسألها فى سخرية :

— إلى أين يا فاتنتى ؟

أجابته فى عصبيَّة :

— سأعود إلى حجرتى .. لعلى أجد فيها بعض الراحة .

قال فى تهكُّم :

— ومن يحصل على الراحة فى فندق صغير كهذا ؟

تركته ساخطة ، وأغلقت باب حجرته خلفها فى حنق .. ولم تكد تتقدَّم فى الممرِّ الموصل بين حجرات الطابق الثالث من الفندق ، حتى وجدت نفسها أمام رجل بالغ البدانة ، يتطلَّع إليها فى تهكُّم ، وكأنه يهمُّ بإطلاق ضحكة ساخرة ، فتوقَّفت فجأة ، وسألته فى حِدَّة :

— من أنت ؟.. وماذا تريد ؟.

وفجأة .. أطبقت راحة قوية على فمها الجميل ، وطوَّقتها ذراع فولاذيَّة من الخلف ، وسمعت صوت (أدهم) الساخر يقول فى هدوء :

— إنه (قدرى) زميلنا يا عزيزتى (سونيا) .. ولقد اصطحبنى إلى هنا من أجلك .

* * *

١١ ـ لقـاء الأعداء ..

ارتجف جسد (سونيا) من هول المفاجأة ..

ارتجفت من أطراف شعرها الجميـل ، حتى أظفار قدميها الرقيقتين ..

هبط قلبها بين ضلوعها . حينما سمعت صوت (أدهم) الساخر ، وشعرت بذراعه الفولاذية تطوِّقها ..

انتابها شعور عجيب ، هو مزيج من السخط والارتياح ..

السخط لأنه لم يحقِّق لمهمتها النصر هذه المرَّة أيضًا ..

والارتياح لأنه لم يلق حتفه ...

حاولت أن تتخلَّص من ذراعه فى قوة ، ولكنه لم يمكِّنها من ذلك ، وظل (قدرى) يبتسم فى سخرية ، على حين قال (أدهم) :

ـ معذرة لأننى لم أحقِّق لك ما كنت تتمنَّيْنَه من ظفر يا عزيزتى (سونيا) .. ولكننى أكره هذا النوع من الهزائم ، ولا سيَّما حينما يكون الخصم فاتنة مثلك .



هبط قلبها بين ضلوعها ، حينما سمعت صوت (أدهم) الساخر ، وشعرت بذراعه الفولاذية تطوُّقها ..

ندَّت من فمها الذى يحجبه براحته همهمة ساخطة ، تجاهلها ، وهو يستطرد :

ـــ ربما لا يعجبك أسلوبى هذه المرَّة ، ولكننى قدَّرت أن سبب هزيمتى فى الجولة الأولى ، يعود إلى أننى أقاتل أفعى وذئبًا فى آن واحد ؛ لذا فقد قرَّرت أن أبدأ الجولة الأخيرة بفصل كل منهما عن الآخر .

رأت (سونيا) بطرف عينها (منى) ، وهى تتقدَّم منها حاملةً مسدسها الصغير ، وأورثها هذا شعورًا مضاعفًا بالقهر ، فازدادت مقاومتها شراسة للتخلُّص من قبضة (أدهم) ، الذى زاد من نبرات السخرية فى صوته ، وهو يردف :

ـــ لقد سمعت ما قلتماه فى حجرة ذلك الوغد الإيطالى يا عزيزتى (سونيا) .. وأدهشنى أن تدفع دولتك مليون دولار دفعة واحدة للقضاء على رجل متواضع مثلى .

اتسعت ابتسامة (قدرى) حتى كاد ينفجر ضاحكًا ، فقد كان يستمتع بكل لحظة وكل لمحة تقع عليها عيناه ؛ إذ أن هذه واحدة من المرَّات النادرة التى تمكَّن فيها من رؤية (أدهم) وهو يعمل ، وكان هذا يبعث فى نفسه شعورًا بالمتعة الغامرة .

أمَّا (منى) فقد كان وجود (سونيا) يصيبها بالغيرة والضجر ، فقالت فى ضيق :

ـــ دَعْنا ننتهى من هذه المهمَّة سريعًا يا (أدهم) .

أجابها فى هدوء :

ـــ سينتهى كل شىء سريعًا يا عزيزتى ، مادمنا قد أوقعنا بهذه الأفعى .

أصابت هذه العبارة (سونيا) فى الصميم ، وتفجَّر الغضب قويًّا فى أعماقها ، فحرَّكت رأسها فى عنف ، حتى أفلتت قبضة (أدهم) ، وصرخت فى جنون :

ـــ النَّجدة يا (أنطوان) .. لقد أفلت (أدهم صبرى) مرَّة أخرى .

* * *

أضاعت صرخة (سونيا) عامل المفاجأة ، الذى كان يعتمد عليه (أدهم) ، ولكن هذا لم يهزّ شعرة واحدة فى رأسه ، وهو يدفع (سونيا) نحو (قدرى) ، صائحًا :

ـــ تولَّ العناية بها يا (قدرى) ، حتى أنتهى من هذا الوغد الإيطالى .

أحاط (قدرى) جسد (سونيا) الضئيل بذراعيه المكتظتين ،

وقاومت هى فى شراسة يائسة ، على حين اندفع (أدهم) كالقذيفة إلى حجرة (أنطوان) ، وتبعته (منى) دون أدنى تردُّد ..

كان (أنطوان) قد اختطف مسدسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت ، عندما اقتحم (أدهم) حجرته ، وعلى الرغم من ظهور (أدهم) المفاجئ على مسرح الأحداث ، بعد أن آمن خصمه تمامًا بمصرعه ، إلَّا أن عناد (أنطوان) أبى عليه أن يسقط فريسة للمفاجأة .. فلم يكد يلمح (أدهم) ، حتى أطلق النار عليه مباشرةً ..

غاص (أدهم) إلى أسفل ، وانحرف يسارًا ، ثم انقضَّ على (أنطوان) كما ينقضُّ الفهد على فريسته ، والتحم الاثنان فى صراع شيطانى مذهل ..

صوَّبت (منى) مسدسها إلى المتصارعين ، ولكنها لم تستطع الضغط على الزِّناد ، فقد خشيت أن تصيب رصاصتها (أدهم) وسط هذا التلاحم ، الذى يصعب على المرء فيه التقاط هدفه ، فعادت تخفض مسدسها ، وتكتفى بمراقبة المتصارعين ، وهى تدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يكتب النصر لـ (أدهم) .

لم يترك (أنطوان) مسدسه طوال الصراع .. كان يتلقَّى لكمات (أدهم) على ساعده ، ويحاول ردَّها بيسراه .. ولكن لكمات (أدهم) القويَّة أصابت صدره ، وفكه أكثر من مرة ، إلَّا أن (أنطوان) كان يمتاز بصلابة تكاد تقارب صلابة (رجل المستحيل) ..

بدأ الصراع بينهما يتخذ صورة أكثر عنفًا وشراسة ، بعد أن عجز كلاهما عن هزيمة خصمه فى اللحظات الأولى للقتال ..

كان (أنطوان) يحاول فى شراسة إلصاق فوَّهة مسدسه بجسد (أدهم) ، وكان (أدهم) يعمل جاهدًا على تلافى حدوث ذلك ..

أما (منى) فقد انتابها السخط وهى ترقب هذا الصراع ، وتساءلت فى حنق عن الأسباب التى تجعل (أدهم) يصرّ على عدم استخدام مسدسه ، إلَّا فيما ندر ..

لم يكن عقلها يجد مبرِّرًا لأن يهاجم رجل بيديه العاريتين خصمًا يحمل سلاحًا ناريًّا ، خاصةً لو كان هذا الرجل يجيد استخدام مسدسه ، وبنفس البراعة التى يستخدم فيها شاعرًا مرموقًا قلمه .

ازداد توتُّرها مع امتداد فترة الصراع ، فقد اعتادت فيما

مضى أن يهزم (أدهم) خصومه فى الدقائق الأولى من القتال ..

ولكن (أنطوان) لم يكن خصمًا عاديًا .. كان رجلًا يمتهن القتل ..

هبط قلب (منى) بين قدميها ، حينما نجح (أنطوان) فى تصويب مسدسه إلى رأس (أدهم) ..

امتدت يد (أدهم) تقبض على معصم (أنطوان) ، فى محاولة لإبعاد فوّهة المسدس عن رأسه ..

وفجأة .. انطلقت من فوّهة المسدس رصاصة ..

انطلقت بدوىٍّ مكتوم ..

وأطلقت (منى) صرخة تقطر رعبًا ..

صرخة مكتومة لم تتعدَّ شفتيها ..

ورفعت كفَّيها تخفى وجهها فى ألم .. فقد رأت وجه (أدهم) تلوِّثه الدِّماء .

* * *

١٢ ـ جولة البطل الأخيرة ..

لم يكد يرتفع صوت الرصاصة القاتلة ، ولم تكد تعقبه شهقة الألم من فم (منى) ، حتى تملَّك الانفعال الشديد (قدرى) ، وتراخت ذراعاه من حول (سونيا) ، وهو يهتف فى جزع :

ـ يا إلهى !! (أدهم) !!

تملَّصت (سونيا) من بين ذراعيه فى عنف ، ودفعته بعيدًا، ثم انطلقت تهبط درجات السُّلَّم فى توتر وسرعة ، ولم يحاول هو الالتفات إليها ، أو إيقافها ، بل أسرع نحو الحجرة وهو يردِّد اسم (أدهم) فى لوعة ..

ولم تكد (سونيا) تصل إلى خارج الفندق ، حتى قفزت فى سيارة (أنطوان) ، وانطلقت بها فى سرعة مزعجة ..

كان جسدها يرتجف من شدة الانفعال لأول مرة فى عمرها ، وانتابها شعور قوىّ بالقلق، بدأت تتساءل عن نتيجة الصراع ..

كان صوت الرصاصة التى عَبَرت كاتم الصوت كالفحيح ،

وشهقة (منى) يؤكدان أن النصر لـ (أنطوان) ، ولكنها لم تكن تستطيع البقاء للتأكد من ذلك ، كانت تخشى أن يكون (أدهم) هو صاحب النصر ..

انطلقت بسيارتها طويلًا ، حتى توقفت فى تمام الثانية صباحًا أمام منزل صغير ، واندفعت تصعد فى سُلَّمه فى سرعة ، ولم تكد تغلق بابه خلفها ، حتى أشعلت واحدة من سجائرها ، وأخذت تدخنها فى عصبية ، وفى عقلها يدور سؤال واحد يبحث عن إجابة شافية : أيهما لقى مصرعه ، (أدهم) أم (أنطوان) ؟

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة والنصف صباحًا ، عندما شعرت بمفتاح يدور فى باب المنزل ، فأخرجت مسدسها ، وصوَّبته إلى الباب فى توتُّر ، وارتجف جسدها حينما رأت ذلك الرجل الطويل القامة ، العريض المنكبين ، الذى دلف إلى المنزل فى هدوء ، وأغلق الباب خلفه ، ووجدت نفسها تهتف فى دهشة :

ـــ (أنطوان) ؟!.. ماذا حدث ؟

جلس فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ لقد قتلته حقًا هذه المرة .

جاء صوتها متحشرجًا ، مرتجفًا وهى تسأله :

ـــ كيف ؟

أجابها فى إرهاق واضح :

ـــ لقد كاد يقتلنى ، لولا أن نجحت فى تصويب مسدسى إلى رأسه .. ولقد حاول أن يدير فوَّهته نحوى ، ولكننى لم أتردَّد أو أنتظر ، وأطلقت النار .

قالت فى انفعال :

ـــ وهل أصابته الرصاصة ؟.. أعنى هل أنت واثق من أنه قد لقى حتفه ؟

أشار (أنطوان) إلى نقطة تتوسط عينيه ، وقال :

ـــ هل رأيت من يمكنه أن يظل على قيد الحياة ، بعد أن تخترق رأسه رصاصة هنا ؟

غمغمت فى عصبيَّة :

ـــ هل رأيت الرصاصة وهى تخترق رأسه ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، ونهض وهو يقول :

ـــ لقد لقى حتفه يا عزيزتى (سونيا) .. لم يعُد هناك وجود لـ (أدهم صبرى) هذه المرة .

زفرت (سونيا) فى قوة ، على حين تحرّك هو نحو الباب ، وقال :

ــ سأغادرك إلى واحد من فنادق الدرجة الأولى ، وسأنتظر انتشار الخبر ، ثم أتوجّه لقبض المليون دولار الباقية من قنصليتكم .

وغادر المنزل فى هدوء ، تاركًا إياها جامدة كالتمثال ، ثم لم تلبث أن أشعلت سيجارة ، ونفثت دخانها فى الهواء ، ثم غمغمت :

ــ يا للخسارة !! لقد خضت جولتك الأخيرة أيها الشيطان المصرى ، وداعًا يا (أدهم صبرى) .. وداعًا ..

* * *



١٣ ــ الختام ..

هكذا كان ما بدأنا به قصتنا أيها القارئ ...

إنه لم يكن البداية ..

ولكنه أيضًا ليس النهاية ..

فكما بدأت القصة فى مكتب مدير مخابرات تلك الدولة غير العربية فى الشرق الأوسط ، فإنها تنتهى فى مكتب مدير المخابرات العامة المصرية ..

وتبدأ النهاية عند دخول المقدم (حازم عبد الله) إلى حجرة مدير المخابرات المصرية ، ودار بعينيه يتأمّل (قدرى) ، الذى جلس ساكنًا فى ركن الحجرة ، و (منى) التى أطرقت برأسها صامتة على المقعد المقابل لمكتب المدير . ثم تطلّع إلى مديره ، وألقى نظرة سريعة على الرجل الذى يُوليه ظهره أمام النافذة ، وقال فى هدوء :

ــ قنصلنا فى (لاس فيجاس) يتساءل عمّا ينبغى أن يفعله .. فعشرات الصحفيين يلحُّون على معرفة سبب تنكيس العلم المصرى فوق القنصلية ، لثلاثة أيام كاملة .

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

ــ دَعْه لا يخبرهم بشيء ، فنحن لن نعلن خبر مصرع (أدهم صبرى) على الملأ .. ثم إن عدم إعلانه يصبح أكثر وقعًا .

ثم التفت إلى الرجل الذى يتطلَّع من النافذة ، وسأله :

ــ أليس كذلك ؟

أجابه الرجل فى اقتضاب :

ــ بلى .

سأل (حازم) مدير المخابرات مرة أخرى :

ــ هل ننشر نفيًا صغيرًا بالصحف إذن ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلَّا .. دَعْهم يستنتجون ما يحلُو لهم ، إننا لن نعلن شيئًا بصورة رسمية .

غمغم (قدرى) :

ــ لقد كانت لحظة رهيبة .

وهتفت (منى) :

ــ إن مشهد الدماء وهى تغطِّى وجه (أدهم) لن يُمْحَى من ذاكرتى مطلقًا .

أومأ مدير المخابرات برأسه ليؤكد تفهمه الموقف ، ثم استدار إلى الرجل الذى تطلَّع من النافذة ، وسأله فى تعجُّب :

ــ لِمَ تبدو حزينًا إلى هذا الحدّ .

استدار إليه الرجل بقامته الطويلة ، وجسده الممشوق ، وملامحه الوسيمة ، وقال فى ضيق :

ــ يضايقنى كل ماحصل عليه هذا الوغد الإيطالى من التكريم ، ويؤلمنى أنه دُفِنَ فى مقابر مصرية ، وأن جسده التف بعلم مصر الطاهرة .

أطلق مدير المخابرات ضحكة تنمّ عن الارتياح ، وتطلَّع إلى الرجل الذى لم يكن سوى بطلنا (أدهم صبرى) ، وقال :

ــ هذا يمنح (الموساد) مزيدًا من الثقة فى مصرعك يا (ن ــ ١) .

ضحكت (منى) بدورها ، وهى تقول :

ــ لقد كدت أصاب بنوبة قلبية ، حينما أصابت الرصاصة رأس هذا الوغد الإيطالىّ ، وتناثرت الدماء من جمجمته المحطَّمة على وجهك .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وكأن ذكرى هذه اللحظات تبعث فى نفسه الاشمئزاز ، وغمغم :

ــ لقد ذاق الكأس التى أراد أن يسقينى إيَّاها .

هتف (قدرى) فى إعجاب :

— لقد تجلّت عبقريتك مع تلك الخُطَّة الارتجالية الرائعة ، التى وضعتها فور أن لقى الإيطالى مصرعه ، حتى خُيِّل للجميع أنك أنت الذى لقى مصرعه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بل أنت البطل هذه المرة يا عزيزى (قدرى) ، فلولا جوازات السفر التى أحضرتها معك ، ولولا مجموعة الصُّوَر التى وجدناها فى سترة الإيطالى ما أمكننا حَبْك الخُطَّة على هذا النحو .

لَوَّح (قدرى) بذراعه المكتظة ، وهو يقول :

— لقد كان عملًا تافهًا يا صديقى ، مجرَّد إزالة صورك ، وإضافة صور هذا الوغد على جوازات السفر ، هذا لا يعدّ شيئًا أمام تنكُّرك فى هيئته ، وحصولك على مليون دولار نقدًا من سفارتهم .

هتفت (منى) :

— ولا تنسَ خداعه لـ (سونيا) حينما ذهب إليها متنكِّرًا فى هيئة (أنطوان) .. إننى أعد هذا أبرع ما أقدم عليه .

صمت (أدهم) لحظة وهو يبتسم ، ثم قال :

— لقد قفزت الفكرة كلها إلى رأسى ، حينما علمت أن (سونيا)

قد فرت ، دون أن تعلم أيّنا المنتصر ، فوضعت مسدسى الحكومى فى سترة الإيطالى ، وكذا الشوارب واللّحى المستعارة التى أحملها دائمًا ، وكان صديقنا البدين (قدرى) رائعًا ، حينما بدَّل الصور فى إتقان وسرعة ، ثم أتى دور زميلنا (حازم) ، الذى تعقَّب (سونيا) فور فرارها ، وأخبرنى بالعنوان الذى توجَّهت إليه .. هنا لم يعُد أمامى سوى انتحال شخصية ذلك الوغد الإيطالى ، واستعارة مفتاح المنزل منه ، ثم الذهاب إلى (سونيا) وإقناعها بمصرعى .

صمت لحظة وكأنه يتذكَّر ما حدث ، ثم ابتسم وهو يردف :

— كانت الصعوبة الوحيدة تكمن فى أننى لم أستمع إلى صوت هذا الوغد سوى مرات قليلة ، لا تكفينى لتقليد صوته كما ينبغى ؛ لذا فقد تظاهرت بالإرهاق الشديد ، حتى يخفى ضعف الصوت نبراته ، ومن العجيب أننى نجحت فى إقناع (سونيا) ، ويبدو أن توتُّرها لم يسمح لها بكشف تنكُّرى ، على الرغم من فراستها الرائعة .

ابتسم الجميع إعجابًا ، ثم قال (حازم) :

— ولكن لماذا صمَّمْت على الذهاب إلى القنصلية التابعة لتلك الدولة ؟.. ألَمْ يكن من الممكن أن يكشفوا أمرك هناك

ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

ـــ إننى أثق فى تنكُّرى كثيرًا يا صديقى ، ثم إن ذهابى إلى هناك كان حتميًّا .

سأله مدير المخابرات :

ـــ ماذا تعنى بكونه حتميًّا ؟

أمال رأسه ، وهو يقول :

ـــ إن (أنطوان مانيللى) لم يكن ليتنازل عن مليون دولار دفعة واحدة ، ثم إن المخابرات المصرية قد أنفقت الكثير مقابل عملية تعنينى وحدى ، وكان لابدَّ من تعويضها عن ذلك .

ضحك مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـــ إذن فأنت ترُدَ إلينا ما أنفقناه بفوائد تبلغ ألفًا فى المائة يا (ن ـــ ١) .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ هذا أقل ثمن يدفعه (الموساد) ، مقابل إزعاجنا يا سيِّدى .

أفلتت من فم (قدرى) ضحكة مجلجلة ، ثم لم يلبث أن تنبَّه إلى جلوسه فى حجرة مدير المخابرات ، فنهض فى ارتباك وهو يقول :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. هل تسمح لى بالانصراف ؟

تطلَّع مدير المخابرات إلى ساعته ، وقال مداعبًا :

ـــ عجبًا !! إنها الثانية عشرة ظهرًا .. هل حان موعد طعامك بهذه السرعة ؟

ارتبك (قدرى) ، وهو يقول :

ـــ ليس الطعام يا سيِّدى ، ولكن ....

قاطعه (أدهم) وهو يجذبه من ذراعه ، قائلًا :

ـــ فلنجعله كذلك يا عزيزى (قدرى) .. إننى أدعوكم جميعًا إلى غداء دسم .

تحرَّك الجميع نحو باب حجرة المدير بعد استئذانه ، ولكنه عاد يوقفهم وهو يسأل (أدهم) :

ـــ خبِّرنى يا (أدهم) .. كيف أمكنك إقناع قنصلنا فى (لاس فيجاس) بأداء هذا المشهد التمثيلى ، الذى قدمَّه أمام مفتشى الشُّرطة هناك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ إنه رجل رائع يا سيِّدى ، لقد قبل الأمر بلا تردُّد ، وأعتقد أنه نجح فى أدائه ببراعة .

ضحكت (منى) ، وقالت وهى تتأمَّل (أدهم) فى إعجاب :

ـــ لقد كانت مسرحية رائعة ، ولكنك لعبت أعظم الأدوار يا سيادة العقيد .

-قال ضاحكًا :

ـــ هل تمنحيننى شهادة بذلك ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وقال :

ـــ لقد حصلت على شهادة بالفعل يا صديقى .. فأنت أول ضابط مخابرات فى العالم يواصل عمله بعد أن حصل على شهادة وفاة رسميَّة ، تحمل لقب (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩